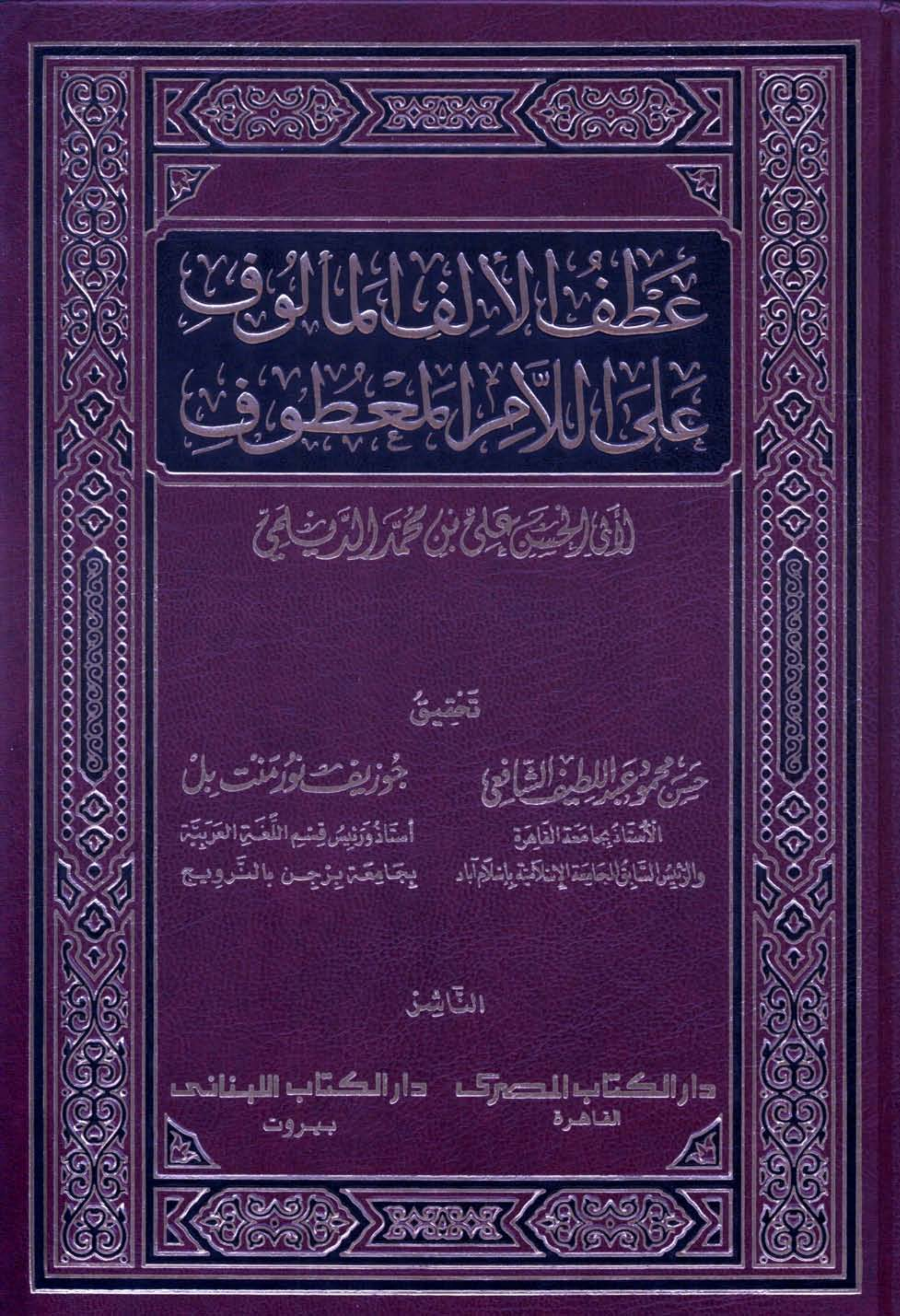


عطف الألف المألوف
على اللام المعطوف
لأبي الحسن علي بن محمد الديلمي
تحقيق
حسن محمود عبد اللطيف الشافعي
الأستاذ بجامعة القاهرة
والرئيس السابق للجامعة الإسلامية بإسلام آباد
جوزيف نورمنت بل
أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية
بجامعة برجن بالنرويج
الناشر
دار الكتاب المصري
القاهرة
دار الكتاب اللبناني
بيروت

عَطْفُ الأَلِفِ المَألُوفِ عَلَى اللَّامِ المَعْطُوفِ

لأبي الحَسَن عليّ بن مُحمَّد الدَّيلَميّ

تَحْقِيقُ

حسن محمود عبد اللطيف الشافعي
الأستاذ بجامعة القاهرة
والرئيس السابق للجامعة الإسلامية بإسلام آباد

جوزيف نورمنت بل
أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية
بجامعة برجن بالنرويج

النَّاشِر

دار الكتاب المصري
القَاهِرَة

دار الكتاب اللبناني
بَيرُوت

رقم الإيداع
٢٠٠٥ / ١٣٢٥٩
I.S.B.N
977-238-754-9

دار الكتاب المصري
القاهرة ٣٣ شارع قصر النيل تليفون : ٣٩٢٢١٦٨ / ٣٩٣٤٣٠١ / ٣٩٢٤٦١٤
ص.ب: ١٥٦ عتبة الرمز البريدي ١١٥١١ - برقيا: كتا مصر - القاهرة
فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
Fax: (202) 3924657 القاهرة Att: Mr. Hassan El-Zein

دار الكتاب اللبناني
بيروت شارع مدام كوري - تجاه فندق بريستول - بيروت
تليفون: ٧٣٥٧٣٢ / ٧٣٥٧٣١ ص.ب ٨٣٣٠ - ١١
بيروت - لبنان . برقيا: داكلبان - فاكسيملي ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
Fax: (9611) 351433 بيروت Att: Mr. Hassan El-Zein

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

First Edition
A.D. 2007 – H 1428

Website: www.daralkitabalmasri.com
Email: info@daralkitabalmasri.com

صف وإخراج وطباعة وتجليد دار الكتاب اللبناني - بيروت.



إهـــدَاء

إلى المرحوم الشيخ محمود عبد اللطيف

السلام عليك يا أبت ، في الرفيق الأعلى من جوار ربك .

هذا أول عمل أشاركـ في إخراجه بعد رحيلك ،

فصح عزمي – مع زميلي – أن نهديه إليك .

وفاءً وولاءً ومحبة

- حسن -

دعــاء

نسألك اللهم :

أن تجعل قلوبَنا أوعيةَ محبتك
وأرواحَنــا محالَّ ألفتك
وأسرارَنا مواضعَ هَيبتِك
وعقولَنا عواملَ حكمتك
وجوارحَنا فواعلَ قُدرتك
إنّك وليُّ ذلك

[من مقدمة العطف ١ - ٣ ص]

ونسأل اللّه - تعالى :

صدقــاً في مقــالِنـــا
وبراً فـي أفعــالِنـــا
وفنـاءً عن أوصافِنـــا
وذهـاباً عن حظوظِنـــا
ومع ذلك سلامةً في صدورِنـــا
وعفواً عن تقصيرِنـــا

[٢٣٧ ص]

ونسأل اللّه :

التوفيقَ في جميــع أمورِنــا
وخــاتمةَ الخيــر عند منقلبِنـــا
والسرورَ الدائمَ عند لقاء ربِنا
والعفوَ العــامَّ عنـد حسـابِنـا
إنّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه

[من خاتمة العطف ٣٠٠ - ٣٠١ ص]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحققَين

بفضل الله وتوفيقه ، وله الحمد والمنة ، يخرج هذا الكتاب للناس من جديد .

إنه نص صوفي عربي عمره ألف عام أو يزيد ، يتناول ظاهرة الحب الإلهي ، والحب بوجه عام ، بالدراسة المستوعبة والتحليل الدقيق . ولعله أول كتاب كامل يصل إلينا من ذخائر التراث العربي الإسلامي مقصورا على هذا الموضوع الجليل[١] ، إذا ما تركنا جانبا الرسائل الصغيرة والفصول المتناثرة في المصادر التي سبقته ، وإذا ما لاحظنا أن كلا من كتاب « الزهرة » للفقيه الظاهري ابن داود (ت ٢٩٧ / ٩٠٩) ، وكتاب « الموشى » في مسالك المحبين والظرفاء للأديب النحوي محمد بن أحمد الوشاء (ت ٣٢٥ / ٩٣٦) ، وكتاب « اعتلال القلوب » للأديب المتفقه أبي بكر الخرائطي (ت ٣٢٧ / ٩٣٨) تناول - بتحليل قريب الغور - الجانب الإنساني من هذه الظاهرة ، مع عناية بالجانب الأدبي خاصة ، وإن لم يخل كل منها من إلماحات إلى الجوانب الفكرية والروحية[٢] ، وإذا ما لاحظنا أيضا أن كتاب « الرياض في أخبار المتيمين » ، لمحمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ / ٩٩٤) ، المعاصر لمؤلفنا هذا ، لم يصل إلينا ، وإن كانت النقول المتفرقة عنه - لدى السراج وابن الجوزي وغيرهما - توحي كذلك بطبيعته الأدبية الإنسانية .

---

(١) انظر الدباغ : مشارق أنوار القلوب (تحقيق هـ . ريتر) ، ص هـ من المقدمة . وانظر أيضا ملاحظات ريتر عن الكتاب في مقالته Philologika VII ٩١ .

(٢) انظر بل : *Love Theory in Later Ḥanbalite Islam* ٨ - ٩ ، ومقالته Avicenna's *Treatise on Love* and the Nonphilosophical Muslim Tradition ٧٣ - ٨٩ ، وماسينيون : محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ١٠٨ - ١٠٩ .

وكاتب هذا النص هو الصوفي السني أبو الحسن علي بن محمد الديلمي ، الذى عاش أكثر أعوام حياته ، إن لم يكن كلها ، في القرن الرابع الهجري ، حين بلغت الثقافة الإسلامية أوج ازدهارها . وتتلمذ الديلمي لأبي عبد الله محمد بن خفيف ، شيخ شيراز الكبير (ت ٣٧١ / ٩٨٢) ، وترجم له ، وورث عنه مشربه الصوفي مع نزعته الحلاجية المعتدلة . وقد وظف المؤلف البارع تجاربه الروحية والاجتماعية ، ومعارفه الأدبية والكلامية والفلسفية ، وثقافته الدينية ، في تحليل ظاهرة الحب في أسبابها ودواعيها ، وأحوالها وأطوارها ، ومستوياتها الإلهية والإنسانية ، وآثارها الفردية والاجتماعية ، ومواقف علماء المسلمين منها على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم ، مع تفتّح ملحوظ على الثقافات الأخرى التي ألم بها معاصروه في ذلك القرن الزاهر . وضمّن المؤلف كتابه - لحسن الحظ - نصوصا هامة وشذرات متفرقة من أعمال سابقة في موضوع المحبة ، لا يزال الكثير منها مفقودا إلى اليوم .

ولئن كان هذا الكتاب النفيس قد احتجب في أطواء الماضي أمدا طويلا ، فقد شاء الله - تعالى - أن يخرج إلى النور ، فينشر نصه العربي لأول مرة في مطلع الستينيات من القرن العشرين ، ثم تنشر ترجمته الفرنسية في الثمانينيات [١] ، وها نحن أولاء نعيد إصداره ، بمزيد من الاحتفاء والعناية ، في لغته الأصلية ، في العقد الأخير من هذا القرن ، ونقدمه أيضا إلى قراء الإنجليزية في ترجمة نرجو أن تلقى قبول المهتمين منهم بالتراث الصوفي والثقافة الإسلامية بوجه عام .

وبالرغم من أن الكتاب لا يوجد الآن - حسب علمنا - إلا في مخطوطة وحيدة محفوظة في مكتبة أوروبية ، فقد كان فيما يبدو ، أحد الأعمال التي مارست ، لفترة ملحوظة ، لونا من التأثير على الفكر الصوفي في فارس ، وبخاصة في مدينة شيراز .

---

(١) أصدر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة النص العربي للكتاب ، بتحقيق ج . ك . ڤاديه عام ١٩٦٢ ، ونشر الأستاذ ڤاديه ترجمته في جنيف عام ١٩٨٠ عن دار النشر Librairie Droz .

وينعكس هذا التأثير في مؤلفات روزبهان البقلي الشيرازي (ت ٦٠٦ / ١٢٠٩) ، الذي عاش في هذه المدينة بعد الديلمي بنحو قرنين من الزمان ، ونقل لنا أجزاء من متن كتاب « العطف » في أعماله الصوفية ، وخاصة كتابيه « مشرب الأرواح » و « عبهر العاشقين » . ولعل كتاب الديلمي كان له أيضا بعض الأثر فيما حدث بعد ذلك من ازدهار أدبي في البيئة الصوفية التي تميزت بها مدينة شيراز [1] . وسنقدم فيما بين يدي هذا النص كلمة عن مؤلفه ، وأخرى عن النص نفسه ، ثم بيانا لطريقة تحقيقه .

* * *

---

(١) هناك سلسلة صوفية تربط حافظا الشيرازي (ت ٧٩١ / ١٣٨٩ أو ٧٩٢ / ١٣٩٠) بروزبهان البقلي الشيرازي . انظر روزبهان البقلي : كتاب عبهر العاشقين ، المقدمة الفرنسية ٥٦ - ٦٣ ، وقارن Carl W. Ernst : *Rūzbihān Baqlī: Mysticism and the Rhetoric of Sainthood in Persian Sufism* ٩ - ١٠ .

المؤلف

حياته وعصره

عني مؤلفنا بالتأريخ لشيخه أبي عبد الله بن خفيف في سيرته المشهورة ، وحفظ لنا تفاصيل كثيرة عنه في تلك « السيرة » . وفي كتاب آخر مفقود ، معروف بـ « المشيخة » ، عني بالتأريخ لآخرين من أعلام عصره والمتقدمين من العلماء والصوفية . ونقل المؤرخون وكتّاب السير - وخصوصا في شيراز - الكثير من هذه التفاصيل في مؤلفاتهم . لكنهم ، بالرغم من هذا ، لم يذكروا ترجمة الديلمي نفسه .

ومن ثم ، فإن المعلومات التي بأيدينا عن حياته وعن مؤلفاته قليلة . فمنها ما بلغنا عن طريق سند رواية كتابه « العطف » ، المسجل على صفحة العنوان في النسخة الباقية من الكتاب ، ومنها ما أمكن استخلاصه من مصادر أخرى ، أشار الأستاذ ڤاديه في مقدمة ترجمته الفرنسية إلى معظمها [1] .

وبسبب هذا الصمت من جانب المؤرخين وكتّاب السير ، لا نعرف - للأسف - شيئا عن تاريخ ميلاد الديلمي ، لكن يغلب على ظننا أنه كان ما زال شابا فتيا ، أو ربما صبيا يافعا ، عندما التقى بشيخه ابن خفيف وتتلمذ عليه حوالي عام ٣٥٢ / ٩٦٣ - ٩٦٤ ، أي قبل وفاة الشيخ بنحو تسع عشرة سنة . وذلك أن ابن خفيف ، الذي توفي عام ٣٧١ هـ ، كان له خادم اسمه أبو أحمد الكبير توفي - طبقا لرواية الجنيد الشيرازي في « شد الإزار » - سنة ٣٧٧ هـ ، والديلمي يقول عن أبي أحمد

---

(١) انظر الديلمي : *Le traité d'amour mystique d'al-Daylami* (= ف ، ترجمة) ١ - ٢٣ ، وخاصة ٤ - ٦ ، وهو المرجع الذي نشير إليه فيما يلي بقولنا « ڤاديه : ترجمة » أو « ف ، ترجمة » ، وفي مقدمتها تفاصيل أكثر مما ذكرنا عن تسلسل رواية كتاب « العطف » . وقارن بما أورده صبيروي في « ابن خفيف الشيرازي » ، رسالته للدكتوراه بجامعة فرايبورج بألمانيا ، ٢٦ - ٢٧ .

هذا - في المصدر نفسه : « رأيته نحوا من خمسة [كذا] وعشرين سنة »[1] ، أي أنه رآه في صحبة الشيخ ابتداء من عام ٣٥٢ هـ . وإذا أضفنا إلى ذلك قول الديلمي - في المصدر نفسه أيضا - عن شيخه ابن خفيف : « لولا أن منَّ الله علينا بطول عمره حتى أدركناه واستفدنا منه ، لكان معدودا في الطبقة الثانية ، لمحله وسنه وعلمه وحاله ، وحاجة أهل عصره إليه في رأيه وعقله »[2] ، أمكننا أن نستخلص أنه كان شابا عندما تيسر له لقاء الشيخ لأول مرة حوالي عام ٣٥٢ ، إذ لولا طول عمر الشيخ ، لفاته لقاؤه والتتلمذ عليه .

كما أننا لا نعرف على وجه التحديد تاريخ وفاة الديلمي ، وغاية ما أمكننا أن نحظى به في هذا الصدد هو أنه من الممكن أن يكون هو الشخص الذي ذكره القفطي باسم أبي الحسن الديلمي ، وروى أنه زار مع آخرين الوزير البويهي أبا علي مؤيد الملك[3] ، وهو الوزير الذي تقلد الوزارة عام ٣٩٢ / ١٠٠١ - ١٠٠٢ ببغداد[4] . وهذا يعني أن الديلمي كان حيا في أوائل العقد الأخير من القرن الرابع الهجري .

فإن لم يصح هذا الخبر ، أو كان عن ديلمي آخر ، فقصارى ما في أيدينا بعد ذلك ما رواه الجنيد الشيرازي في « شد الإزار » عن الديلمي أنه قال عن أبي أحمد الصغير ، وهو خادم آخر لشيخه ابن خفيف : « سمعت الشيخ الكبير يقول : كيف لا أحب أبا أحمد وكان يغطيني وأهلي بالثياب ثلاثين سنة ؟ قال : مات وقد قارب السبعين ... ، ما عرفت له طول عمره زلة ولا هفوة »[5] . ثم يذكر الشيرازي أن أبا أحمد توفي عام ٣٨٥ / ٩٩٥ - ٩٩٦ ، وهذا يفيد بوضوح أن الديلمي كان حيا في

(١) شد الإزار ٤٦ .
(٢) السابق ٣٨ - ٣٩ .
(٣) القفطي : تاريخ الحكماء ٢١١ - ٢١٢ .
(٤) انظر الصابئ : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ٤٦٧ .
(٥) شد الإزار ٤٧ - ٤٨ .

منتصف العقد قبل الأخير من القرن الرابع الهجري .

فإذا افترضنا أنه عند انضمامه إلى حلقة الشيخ حوالي عام ٣٥٢ هـ كانت سنه خمس عشرة سنة تقريبا ، فإن ميلاده ربما كان في حدود عام ٣٣٧ هـ . وبذا يكون الديلمي قد عاش على الأقل قرابة خمسة عقود في ظل خلافة الخلفاء العباسيين الثلاثة : المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ) ، وابنه الطائع (٣٦٣ - ٣٨١ هـ) ، والقادر (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) .

وبذا يكون أيضا قد عاصر النصف الأول من القرن الذي هيمن فيه البويهيون ، ذوو الأصل الديلمي ، على غرب فارس والعراق ، وأصبحوا عندئذ أقوى قوة في المنطقة الوسطى من العالم الإسلامي . وكانوا ذوي ميول شيعية مع قدر كبير من الاعتدال والسماحة ، مما دعاهم إلى التعاون مع الخليفة العباسي السني ودعم مكانته ، واستمداد المشروعية لدولتهم منه ، ودعاهم أيضا إلى رعاية الحياة العلمية والثقافية بمختلف اتجاهاتها المذهبية ، وذلك عن طريق الهبات المالية وإنشاء المكتبات وإقامة الندوات . وقد كان من نصيب شيراز أن بنى فيها عضد الدولة البويهي مكتبة عامرة [١] .

وفي ظل هذه الروح المتسامحة وما ترتب عليها من نهضة علمية وثقافية ، برزت أسماء خالدة في مجالات العلم والأدب ، مثل أبي الفرج الإصفهاني (ت ٣٥٦ / ٩٦٧) ، والشريفين الرضي (ت ٤٠٦ / ١٠١٦) وأخيه المرتضى (ت ٤٣٦ / ١٠٤٤) ، وأبي إسحاق الصابئ (ت ٣٨٤ / ٩٩٤) ، والقاضي المتكلم أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ / ١٠١٣) ، والفيلسوف الأديب المتكلم أبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤ / ١٠٢٣) ، والعارف الصوفي الكبير أبي عبد الله محمد بن خفيف ، شيخ مؤلفنا الديلمي ، وكثير غيرهم من قمم الفكر العربي والثقافة الإسلامية .

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية (ط ٢) ، مادة Dār al-ᶜilm .

وربما تعود بعض التعبيرات ذات الطابع الشيعي في أسلوب الديلمي [1] ، برغم الاتجاه السني الذي يؤكده كتاب « العطف » [2] ، والذي عُرف عن شيخه من قبل ، إلى ذلك الجو المتسامح الذي عاش فيه ، وما قد يجمعه مع البويهيين الديالمة من نسب ومواطنة ونزعات ثقافية .

شخصيته الفكرية

إذا كانت سيرة الديلمي ووقائع حياته لا تزال - في الأغلب - مجهولة لنا ، فإن شخصيته الفكرية واتجاهه المذهبي أكثر وضوحا أو هو ، على كل حال ، أقل غموضا . وذلك أن من الممكن أن نستمد - من كتاب « العطف » ومما يتضمنه كتاب « السيرة » وما اقتُبِسَ من نصوص كتاب « المشيخة » - بعض الشواهد الداخلية ، التي تتضافر مع بعض المصادر الخارجية ، فتكشف لنا عن فكره وحياته الروحية .

ومما ورد في المصادر المشار إليها نفهم أن الديلمي كان على صلة بالثقافة العقلية الشائعة في عصره ، إذ يروي مرة - بطريق غير مباشر - عن أبي حيان التوحيدي نصا صوفيا ، ويروي بطريق السماع في مقام آخر عمن يدعى « أبا حيان » - ويغلب على ظننا أنه التوحيدي - كلاما في « البِرّ » ألقاه الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بالبيطار بجامع الأهواز [3] . وقد يكون التوحيدي هو الفيلسوف الذي عناه الديلمي في قوله في « كتاب العطف » : « وسئل بعض الفلاسفة - وأنا حاضر - عن بدء العشق » [4] ، كما رجحه الأستاذ ماسينيون [5] . وكتاب « العطف » يعكس بصورة واضحة إلماما جيدا ، وعناية خاصة بآراء الفلاسفة والحكماء والمتكلمين

---

(١) انظر ٢ ، ٦٥ ، ١٣٨ ، ١٥١ ، ٢٨٢ ص (ص = رقم صفحة المخطوط على هامش النص المحقق) .

(٢) انظر ٢٨١ - ٢٨٢ ص عن الخليفة عثمان - رضي الله عنه .

(٣) انظر شد الإزار ٥٣ - ٥٤ ، ١٠٤ - ١٠٥ .

(٤) ٥٦ ص .

(٥) ماسينيون Interférences philosophiques ٢٣٠ هامش ٢ .

في المحبة والعشق ، بجانب أقوال الصوفية والفقهاء ، والمتأدبين والشعراء .

وأبو عبد الله البيطار المذكور آنفا (ت ٣٦٣ / ٩٧٤) هو أحد من صحبهم الديلمي ، ويعرف بميوله الصوفية ، وبسعة الباع في علوم كثيرة ، منها الفقه والنحو والطب ، التي أخذها عن أبيه وغيره [١] . وفي كتاب « العطف » أثر واضح من هذه العلوم جميعا ، وفيه كذلك رواية في موضعين لبعض أخبار الصوفية عن كتاب « المشيخة » لأحمد بن منصور (ت ٣٨٢ / ٩٩٢) ، والد أبي عبد الله البيطار [٢] .

وفي هذه المصادر أيضا يرد ذكر المنجم الأعمى البغدادي « شكح » ، الذي كان يتكلم ببغداد عن أحداث النجوم وأحكامها ، ولقيه مؤلفنا في صحبة طائفة من العلماء ، إن صحت الرواية التي أوردها القفطي في « تاريخ الحكماء » [٣] . وفي « العطف » ، كما هو ظاهر ، عناية خاصة بذكر آراء المنجمين والفلكيين في العشق وما يتصل به [٤] .

قد مر بنا من قبل ما يدل بوضوح على مذهب المؤلف السني ، ومشربه الصوفي . ولكن طبيعة شخصيته الفكرية وملامحها الخاصة قد تزداد وضوحا إذا ألممنا برحلات الديلمي وشيخه ، فنعرف شيئا عن تجاربه الخاصة وهمومه الفكرية .

رحلات الديلمي

كان الديلمي رجلا نشيطا ، خفيف الحركة ، مولعا بالرحلة بحثا عن المعرفة والتجارب الروحية . ولعله في هذا كان ينسج على منوال شيخه الذي كان رحالة عظيما ، برغم المتاعب والأخطار التي اكتنفت السفر والتنقل في ذلك الحين . وطبقا لما يحتويه كتاب « السيرة » من روايات ، فقد قام ابن خفيف برحلة الحج أربع مرات أو

---

(١) شد الإزار ٤٧ ، ١٠٢ - ١٠٥ .

(٢) ٢٨٧ ، ٢٩٩ ص .

(٣) تاريخ الحكماء ٢١١ - ٢١٢ .

(٤) انظر ٥٦ - ٥٩ ص .

ستا وربما أكثر ، وفي الرابعة منها اصطحب أمه معه [١] .

والديلمي يروي لنا في كتاب « العطف » أحداثا شاهدها في رحلة له إلى مكة بقصد الحج [٢] ، وفي موضع آخر من الكتاب يذكر رحلة أخرى إلى مدينة أرَّجان [٣] بالقرب من شيراز على طريق الحاج . ويصف الرجل - في لغته الجميلة المعبرة - زيارة أخرى إلى « بيت الفيل » ، في بغداد على الأرجح [٤] .

وفي القصة التي أشرنا إليها آنفا عن « شكح » المنجم البغدادي ، يحكي لنا القفطي بعض تفاصيل زيارة للديلمي إلى بغداد حيث التقى ، مع جماعة من أصدقائه ، بوزير الوقت مؤيد الملك للشفاعة في حاجة لأحدهم عنده ، ثم حضر وليمة معهم عند أحد معارفهم ببغداد اسمه ابن الوتّار [٥] .

ويورد القشيري في « الرسالة » الخبر التالي عن رحلة أخرى [٦] : « يحكى عن أبي الحسن الديلمي أنه قال : دخلت أنطاكية لأجل أسود قيل لي إنه يتكلم على الأسرار ، فأقمت فيها إلى أن خرج [٧] من جبل لكام ، ومعه شيء من المباح [٨] يبيعه ، وكنت جائعا منذ يومين لم آكل شيئا ، فقلت له : بكم هذا ؟ وأوهمت أني

---

(١) انظر الديلمي : سيرة الشيخ الكبير (ترجمة شتا) ١١٥ - ١١٧ ، ولمزيد من التفاصيل عن « حجات ابن خفيف » انظر صبيروي : ابن خفيف الشيرازي ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) انظر ٢٢٧ - ٢٢٩ ص ، حيث يروي المؤلف قصة طريفة عن علاقة حب بين زوج من الحمام لاحظهما في المسجد الحرام بمكة المكرمة ، وقصة أخرى عن جمل عاشق هاجه الحزن لفراق ناقته الحبيبة فظل صائما حتى مات . فهل كانت فكرة تأليف كتاب عن الحب في ذهن الديلمي ، فأعانته على اختزان هذه الملاحظات الدقيقة ؟

(٣) انظر ٢٤٤ - ٢٤٨ ص .

(٤) انظر ٢٢٩ ص . وراجع هوامشنا على هذا الموضع من الترجمة الإنجليزية .

(٥) القفطي : تاريخ الحكماء ٢١١ - ٢١٢ .

(٦) القشيري : رسالة (ط صبيح) ١٨١ .

(٧) في المرجع السابق : أخرج .

(٨) كذا في المرجع نفسه ، ولعلها : الملح .

أشتري ما بين يديه ، فقال : اقعد ثَمَّ ، حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئا ، فتركته وسرت إلى غيره أوهمه أني أساومه ، ثم رجعت إليه وقلت له : إن كنت تبيع هذا ، فقل لي بكم ، فقال : إنما جعتَ يومين ، اقعد ثَمَّ ، حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئا ، فقعدت ، فلما باعه أعطاني شيئا ، ومشى ، فتبعته ، فالتفت إليّ وقال : إذا عرض لك حاجة ، فأنزلها بالله - تعالى - إلا أن يكون لنفسك فيها حظ ، فتحجب عن الله - تعالى » . وأغلب الظن أن الديلمي في هذا الخبر هو مؤلفنا ، والقصة تتمشى مع طبيعة شخصيته كما تبدو في كتاب « العطف » .

هذا ما لدينا الآن اعتمادا على نص « العطف » وبعض المصادر الخارجية ، ولعل دراسة تفصيلية لكتاب « السيرة » ، الذي أرّخ فيه لشيخه ، تكشف عن المزيد من المعلومات عن رحلات الديلمي .

أبرز من أثروا فيه

لا نعرف من شيوخ الديلمي المباشرين الذين لازمهم وأخذ عنهم وأسهموا في صياغة شخصيته الفكرية والروحية إلا ابن خفيف ، لكن هناك شيوخا غير مباشرين قد أسهموا في ذلك ، عرفهم من خلال صلته بابن خفيف أو من طرق أخرى .

أ - فأما ابن خفيف ، شيخ شيراز الذي لازمه الديلمي ، فهو أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسكفشاذ [١] ، الذي جذب أنظار الباحثين لمكانته بين صوفية شيراز في حياته وبعد مماته ، ولصلته بالحلاج . وقد حفظ لنا التاريخ سيرته التي حققتها ونشرتها أناماري شيمل ، وقدمت لها ، وألحقت بها فصولا تتضمن معلومات هامة عن ابن خفيف ، وقام الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا بترجمتها إلى العربية . ثم أنجز الأستاذ فلوريان صبيروي رسالته الهامة للدكتوراه عن ابن خفيف ، متضمنة تحقيق

(١) يرد هذا الاسم بصيغ مختلفة ، اخترنا ما ورد في شد الإزار للجنيد الشيرازي بتحقيق القزويني ٣٨ . وقارن السلمي : طبقات (تحقيق Pedersen) ٤٨٥ هامش ٣ .

كتابه « الاقتصاد » ، مع تعريف تفصيلي بشيوخه ومعارفه وتلاميذه [١] .

ويمكن أن نستخلص مما أورده الديلمي ، في « السيرة » المشار إليها آنفا ، أن ابن خفيف ولد في شيراز سنة ٢٦٨ / ٨٨٢ أو بعدها ، عقيب استيلاء عمرو بن الليث الصفّاري على المدينة . وكان والده من قادة الديالمة في جيش عمرو ، الذين أسهموا في استعادة الهيمنة على فارس للصفارية ، وكانت معه زوجه ، أم أبي عبد الله بن خفيف ، أثناء إقامته في شيراز [٢] . فجذور ابن خفيف ترجع إلى العناصر الديلمية المحترفة للجندية ، التي قدر لها قبل موته أن تسيطر على مقاليد الأمور في المنطقة الوسطى من العالم الإسلامي ، وهي الجذور التي ينتمي إليها أيضا علي بن محمد الديلمي ، صاحب « العطف » .

وشخصية ابن خفيف العلمية والصوفية ، التي امتدت في تلميذه الديلمي على نحو ما ، قد تكونت في جو تغلب عليه روح سنية معتدلة . فقد درس الفقه على شيخ الشافعية ابن سريج ، الذي عمل قاضيا بشيراز ثلاث سنين بعد عام ٢٩٦ أو ٢٩٧ هـ [٣] . والتقى ابن خفيف أيضا بأبي الحسن الأشعري في البصرة ، وتأثر به ، حتى إن الباقلاني ، عندما زار شيراز فيما بعد ، وجد ابن خفيف يدرس لمريديه كتاب « اللمع » للأشعري [٤] . وما نشرته شيمل من كتاب « المعتقد الصغير » ، الذي أوردته في ملاحقها لكتاب « سيرت » ، يؤكد اتجاهه الأشعري السني [٥] . واشتغل ابن خفيف بالحديث حتى قيل عنه : « كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب من صحاح

(١) عن هذه المراجع الثلاثة انظر قائمة المراجع في آخر كتابنا هذا .

(٢) انظر السيرة (شتا) ٨٨ ، وقارن : سيرت (شيمل) ، المقدمة ١٣ . ويرجح صبيروي أن ميلاد ابن خفيف لا يمكن أن يسبق عام ٢٨٠ هـ . انظر ابن خفيف الشيرازي ٢٢١ .

(٣) انظر صبيروي : ابن خفيف الشيرازي ، ٨٩ ، ١٧٥ .

(٤) انظر السيرة ١٧٢ - ١٧٤ ، وانظر صبيروي : ابن خفيف الشيرازي ٥٧ ، حيث يشير إلى المقري ، وقارن شد الإزار ٤٢ .

(٥) انظر : سيرت (شيمل) ٣٤٠ - ٣٦٥ .

الأحاديث عشرين حديثا بعد ما فرغ عن ورده ، وله مسند حديث ، وروى عنه الحافظ أبو نعيم الإصفهاني وغيره »[1] . وقد تتلمذ الديلمي عليه في هذا العلم ، ويوجد في كتاب « السيرة » - على امتداد ثلاث صفحات - بعض ما رواه عن شيخه من أحاديث مصحوبة بأسانيدها[2] .

ويتسق مشرب ابن خفيف الصوفي مع هذا التكوين العلمي . فقد لبس الخرقة من أبي محمد رويم ، وصحب الجريري وأبا العباس بن عطاء ، وكان ينصح مريديه : « اقتدوا بخمسة من شيوخنا ، والباقون اسمعوا لهم وسلموا ما قالوا ، وهؤلاء الحارث ابن أسد المحاسبي ، وأبو القاسم الجنيد بن محمد ، وأبو محمد رويم بن محمد ، وأبو العباس بن عطاء ، وعمرو بن عثمان المكي »[3] . وكان حريصا على الجماعة وعلى الصف الأول في المسجد حتى في شيخوخته الفانية . يروي عنه الديلمي في « السيرة » قوله : « إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تجدوني في الصف الأول من المسجد ، فاطلبوني في المقابر »[4] .

لكن ابن خفيف ، مع هذا ، حرص على لقاء الحلاج في سجنه ، وروى بعض كراماته ، وكان يدافع عنه ، وإن كان لا يوصي تلاميذه باتباعه ولا يوصيهم بالاعتراض عليه في الوقت نفسه . وهذا هو الموقف الذي ينزع إليه الديلمي في كتاب « العطف »[5] ، وقد روى أيضا لقاء شيخه بالحلاج وإعجابه به في كتاب « السيرة »[6] .

هذا ، وقد تعرض ابن خفيف - كغيره من الشخصيات البارزة - لاتهامات بعض

---

(١) شد الإزار ٤٢ . (٢) السيرة ٢٥٣ - ٢٥٦ .

(٣) شد الإزار ٤٣ . (٤) السيرة ٢٦٢ .

(٥) انظر ٥٠ - ٥٦ ، ٩٠ - ٩٢ ص ، وشد الإزار ٤٢ .

(٦) انظر السيرة ١٦٠ - ١٦٣ ، ١٦٥ - ١٦٦ .

معاصريه ، ومنهم القاضي الأديب أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤ / ٤٩٩) ، ذو الميول الاعتزالية ، الذي رماه وأتباعه باستباحة الزنا . وردد هذه التهمة ابن الجوزي فيما بعد[١] . وشخصية ابن خفيف التي تطالعنا من النصوص والروايات المعاصرة المتكاثرة لا تتسق مع مثل هذا السلوك الفاجر ، وتضعف لدى أي منصف الثقة بمثل هذه التهمة القاسية ، التي تلقفها ابن الجوزي - على فضله - دون تبين أو تحقيق .

ولابن خفيف مصنفات كثيرة ، قيل إنها تبلغ الثلاثين ، بينها كتابان في المحبة : أحدهما « كتاب المحبة » ، والآخر « كتاب الودّ والألفة » ، ذكرهما الديلمي في السيرة ضمن مختصراته[٢] . وذكر في « العطف » أيضا أنه ألف « مسألة » في جواز إطلاق العشق على الله ومن الله ، وأنه كان ينكر ذلك حتى وقعت إليه مسألة لأبي القاسم الجنيد في العشق ، فقال به وألف فيه[٣] . ولكنا لم نعثر على شيء من هذه الثلاثة ، إلا إن كان بعض ما نقله الديلمي في « العطف » مأخوذا منها[٤] .

وتوفي ابن خفيف - كما يذكر الديلمي في « السيرة » - في الثالث والعشرين من رمضان سنة ٣٧١ هـ ، وله من العمر ما بين ١٠٥ و ١١٤ سنة[٥] . وينص الشيرازي في « شد الإزار » على أنه « توفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة - رحمه الله »[٦] . وإذا لاحظنا تاريخ مولده الذي لا يمكن أن يسبق تاريخ حملة عمرو بن الليث الصفّاري على شيراز في ٢٦٨ هـ مع تاريخ وفاته الذي تتفق المصادر أنه سنة ٣٧١ ، فعمره لا يزيد عن ١٠٣ سنة هجرية[٧] .

---

(١) انظر التنوخي : نشوار المحاضرة ٣ / ٢٢٨ - ٢٢٩ ، وابن الجوزي : تلبيس إبليس ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) السيرة ٢٥٧ .

(٣) ٩ - ١٠ ص . ينقل ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ٤٧ ، من كتاب باسم « اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات » لابن خفيف ، نصا ينكر فيه « إطلاق تسمية العشق على الله - تعالى » .

(٤) قارن سزكين ١ / ٦٦٤ .　　(٥) السيرة ٢٦٤ .

(٦) شد الإزار ٤٥ - ٤٦ .

(٧) قارن ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٥ / ٣٠١ ، حيث يذكر في خبر أنه عاش ١٠٤ سنة .

ب - ومن الشيوخ الذين تأثر بهم الديلمي بطريق غير مباشر ، ويظهر أثرهم فيه واضحا من نصوص كتاب « العطف » ، عدد من أعلام التصوف في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع من الهجرة . ونرجح أن يكون تأثيرهم فيه قد تم من خلال صلته بالشيخ ابن خفيف . فمنهم :

١ - الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩ / ٩٢٢) ، وهو من أبرزهم ، وينقل المؤلف بعض أقواله وآرائه في « العطف » ، وقد أشرنا إلى متابعته لشيخه في موقفه منه . وهو في الحقيقة متأثر به ، وإن كان يتحفظ على بعض آرائه ، ونرجح أنه استمد عنوان كتاب « العطف » من شعره ، كما سنوضحه فيما بعد .

٢ - أبو القاسم الجنيد بن محمد (ت ٢٩٨ / ٩١٠) ، سيد الطائفة وشيخ أهل الصحو ، والذي قيل إن ابن خفيف قد صحبه - وإن كان بعض الباحثين يتشككون في هذه الصحبة [١] - والذي أوصى بتقليده ومتابعته ، كما مر . وهو الذي كتب المسألة في العشق التي دعت ابن خفيف أن يغير رأيه فيه ويكتب مسألته . وقد تابعه تلميذه الديلمي في ذلك [٢] .

٣ - أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي (ت حوالي ٢٩٧ / ٩١٠ ، وقيل ٢٩١ أو ٢٩٦) ، الذي صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز ، وكان معارضا للحلاج ، وكتب كتابا في المحبة يروي عنه الهجويري في « كشف المحجوب » [٣] ، ويهتم الديلمي بنقل آرائه في مواضع عديدة من « العطف » [٤] .

٤ - أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي المعروف بابن الأعرابي (ت ٣٤١ / ٩٥٢) ، الذي يقال إنه ألف في الفقه والحديث ، والسير والتاريخ ، إلى

---

(١) انظر سيرت (شيمل) ، المقدمة ١٦ ، وصبيروي : ابن خفيف الشيرازي ٤٣ ، بناء على ما ورد في طبقات السلمي (تحقيق Pedersen) ٥٣٥ .

(٢) انظر ٩ - ١٠ ص . (٣) انظر الهجويري : كشف المحجوب ٢ / ٥٥٢ - ٥٥٣ .

(٤) انظر ٣٥ ، ٦٩ - ٧١ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٩١ - ٢٩٧ ص .

جانب ما كتب في الزهد والتصوف . لقيه ابن خفيف في مكة المكرمة كما يحكي الديلمي في السيرة[1] . وقد أفرد كتابا في « اختلاف الناس في المحبة » ، نقل عنه الديلمي في « العطف »[2] .

جـ – وممن تأثر بهم الديلمي أيضا ، كما يفيد كتاب « العطف » وبعض المصادر الأخرى ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر :

١ – محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ / ٩٢٣) ، الذي أخذ عنه الديلمي كثيرا من الأخبار التاريخية المتعلقة بقصص الأنبياء في الباب الأخير من « العطف » ، حيث يصرح بنقله عنه[3] . وذكره أيضا في « السيرة » ضمن شيوخ شيخه ابن خفيف الذين لقيهم وسمع منهم بعض الأحاديث في بغداد[4] .

٢ – المسعودي (ت ٣٤٥ / ٩٥٦ ؟) أو مصدر قريب منه ، فإننا نتوقع أن الديلمي ربما أخذ عن المسعودي بعض أقوال المتكلمين في المحبة والعشق ، اعتمادا على الجزء المفقود من كتابه « أخبار الزمان » ، الذي تعرض فيه لموضوع المحبة ، أو على رواية مفقودة لكتابه المشهور « مروج الذهب » ، أو أن كلا من « المروج » و « العطف » قد رجعا إلى مصدر واحد ، نظرا للتقارب الشديد بينهما[5] .

٣ – أبو حيان علي بن محمد التوحيدي ، الذي اقترح ماسينيون – كما سلف – أنه الفيلسوف الذي لقيه الديلمي وروى عنه[6] . وقد صرح أحد المؤرخين بلقائه به وسماعه منه . يقول الشيرازي في « شد الإزار » : « قال الديلمي في مشيخته : ما رأيت في سفري ولا حضري أكمل أدبا من أبي عبد الله الحسين ... ، وسمعت أبا حيان

---

(١) السيرة ١٣٤ – ١٣٥ .

(٢) ٩٨ – ١٠٩ ص .

(٣) ٢٧٢ ص .

(٤) السيرة ٢٥٣ .

(٥) انظر مثلا ٦٢ – ٦٤ ، ٨٥ – ٨٦ ، ١٦١ – ١٦٥ ص وهوامشها .

(٦) انظر ص ١١ وهامش ٥ فيما سبق .

يقول : حضرت مع أبي عبد الله الحسين بجامع الأهواز ، فسأله أبو أحمد الجصاص مسألة في البِرّ ، فتكلم بنحو عشرين ورقة »[١] . وقد رجحنا - بناء على هذا الخبر - رأي ماسينيون أن أبا حيان التوحيدي هو الفيلسوف الذي يقصده الديلمي في قوله : « وسئل بعض الفلاسفة - وأنا حاضر »[٢] .

ويوجد بالتأكيد كثير غير هؤلاء ممن لقيهم المؤلف أو تأثر بهم ، سواء من طريق شيخه ابن خفيف أو من طريق آخر ، لكن بدرجة أقل في أكثر الحالات ، وسترد أسماء بعضهم فى فهارس الكتاب وتعليقاته .

مؤلفات الديلمي

للديلمي مؤلفات يغلب عليها جميعا الطابع الصوفي ، وقد حفظ لنا التاريخ اثنين منها في صورة كاملة ، وهما :

١ - كتاب « العطف » ، الذي نقدمه في هذا العمل ، وسنتعرض له بالتفصيل بعد هذا الفصل .

٢ - كتابه الذي يتضمن سيرة شيخه ابن خفيف ، الذي ألفه بالعربية ، ثم فُقد أصله العربي ، وبقيت لنا منه ترجمة فارسية قام بها ابن جنيد الشيرازي ، ونشرتها بتركيا الأستاذة أناماري شيمل بعنوان « سيرت أبو عبد الله بن الخفيف الشيرازي » عام ١٩٥٥ ، ونشير إليه بقولنا : « سيرت » . ثم قام بنقله إلى العربية عن نشرة شيمل الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا - كما ذكرنا آنفا - ونشره بالقاهرة سنة ١٩٧٧ ، ونشير إليه في هذه المقدمة باسم « كتاب السيرة » أو « السيرة » . وكنا قد اعتمدنا أثناء التحقيق على نشرة شيمل الفارسية ، ثم اطلعنا بعد ذلك على ترجمة شتا وأفدنا منها في إعداد هذه المقدمة . هذا ، وقد أعيد نشر تحقيق شيمل في طهران

(١) شد الإزار ١٠٤ .

(٢) ٥٦ ص .

بعناية توفيق سبحاني سنة ١٩٨٤ .

وللديلمي مؤلفات أخرى لم تزل مفقودة ، وإن وصلنا أجزاء من أحدها ، وهو :

٣ - كتاب « المشيخة » ، الذي ذكر فيه بعض الأعلام من الصوفية والعلماء وتراجمهم ، وهو ، وإن لم يزل مجهولا في صورته الكاملة ، قد بقيت منه أجزاء منتشرة ، ليست بالقليلة ، في بعض المصادر ، من أهمها :

- « شيرازنامه » ، لمعين الدين زركوب شيرازي ، وقد طبع أكثر من مرة ، نشره بهمن كريمي في طهران سنة ١٩٣١ ، ثم أعيد تحقيقه ونشره بعناية إسماعيل واعظ جوادي ، في طهران أيضا .

- كتاب « شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار » ، تأليف معين الدين أبي القاسم الجنيد الشيرازي ، الذي حققه كل من الأستاذين محمد قزويني وعباس إقبال ، ونشراه في طهران سنة ١٣٢٨ هـ ش/ ١٩٤٩ ، وتتضمن نشرتهما تعليقات نفيسة مستفيضة على النص ، وإحالات بالغة الفائدة إلى مراجع هامة تتعلق بما احتواه الكتاب .

ويبدو أن كتاب « المشيخة » قد أثر على الحياة الصوفية وتقاليدها ، وخاصة بمدينة شيراز ، واتخذه بعض كتّاب السير نموذجا للتأليف في هذا الباب ، ومنهم الجنيد الشيرازي ، صاحب « شد الإزار » المذكور آنفا ، وغيره [١] .

أما المؤلفات التي لم يصل إلينا منها شيء سوى العنوان فاثنان ، هما :

٤ - كتاب « أسرار المعارف » ، الذي ذكره الديلمي نفسه مرة واحدة في كتاب « العطف » ، حيث أورد الحديث : « أنا أكرم على الله من أن يتركني في قبري

(١) انظر شد الإزار ٤ هامش ١ و ١٧٦ - ١٧٧ ، حيث يذكر ترجمة الشيخ صائن الدين حسين بن محمد (ت ٦٦٤ / ١٢٦٥ - ١٢٦٦) وأن له كتابا عن « تاريخ مشايخ فارس ، كتبها على طريقة الديلمي والمقاريضي » .

فوق[١] ثلاث » ، ثم قال : « وقد ذكرت شرح هذا في كتاب أسرار المعارف »[٢] .

٥ - وقد ذكر المستشرق الألماني هـ . ريتر ، في مقدمة نشرته لكتاب « مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب » لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المشهور بابن الدباغ ، أن للديلمي أيضا رسالة باسم « العقيدة الصحيحة » ، ولم يبين ما اعتمد عليه في ذلك[٣] .

* * *

---

(١) هذه الكلمة ليست واضحة في الأصل . انظر ٢٨١ ص وهوامشها .

(٢) ٢٨٠ - ٢٨١ ص .

(٣) ابن الدباغ : مشارق ، ص هـ من المقدمة .

الكتاب

سنتناول هنا أهمية الكتاب وأثره ، ونسبته إلى مؤلفه ، وعنوانه ، ومضمونه بوجه عام ، وأهم مصادره . ونبدأ الآن بالنقطة الأولى .

أهمية الكتاب وأثره

ألمحنا فيما سبق إلى ما يتميز به كتابنا هذا من مكانة خاصة في التسلسل التاريخي للمؤلفات الإسلامية في « نظرية المحبة » بأبعادها الروحية والاجتماعية ، وما حفظه لنا من نصوص هامة في هذا الصدد نفتقد الآن مصادرها الأصلية ، وما عساه قد أحدثه من تأثير روحي وفكري في البيئة الصوفية في شيراز وفارس ، التي شغل فيها الديلمي وشيخه ابن خفيف - كما لعله قد ظهر مما سبق - مكانا مرموقا .

وقد يشهد لهذا أو يرشح له ما يتداوله شيوخ الطريقة « الأويسية » المعاصرون عن سند طريقتهم الذي يبدأ بعلي - كرم الله وجهه - فأويس ، فسلمان ، فابن سليم ، فابن أدهم ، فالبلخي ، فالنخشبي ، فالإصطخري ، فالحذاء ، فابن خفيف ، الذي يعد عندهم « خاتم المتقدمين وإمام المتأخرين » . وعنه أخذ الأكار ، فالكازروني ، ثم جماعة بعد ذلك ، منهم روزبهان البقلي الشيرازي ونجم الدين الكبرى[1] . وقد أورد الهجويري في « كشف المحجوب » بعض المعلومات عن فرقة أو طريقة صوفية أسماها « الخفيفية »[2] ، غير أنه لم يذكر اسم الديلمي في هذا الصدد . وإن كانت فرقة الخفيفية هذه قد اختفت ، فإنه يبدو أنها جماعة كانت تنتمي إلى التيار الصوفي الذي نستطيع أن نراه اليوم في الطريقة المذكورة آنفا المعروفة باسم الأويسية .

وبالرغم من المكانة التي يبدو أن الديلمي كان يتمتع بها بين صوفية شيراز ،

---

(١) انظر مولانا محمد صادق عنقا شاه : من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر ، ترجمة السباعي وشتا ، ٩ - ١٤ .

(٢) الهجويري : كشف المحجوب ٢ / ٤٨٨ - ٤٩٢ .

ومن الأثر الذي مارسته كتبه في أوساطهم ، وبخاصة كتاباه : « المشيخة » و « السيرة » ، كما ذكرناه فيما سبق ، فإننا لم نكد نعثر ، بشأن كتاب « العطف » ، على دلائل واضحة تبين أثره في هذه البيئة ذات الطابع الصوفي العميق ، اللهم إلا أمرين :

الأول : الرجلان اللذان يتضمنهما الإسناد المدون على صفحة العنوان بالمخطوطة الوحيدة لكتاب « العطف » ، وهما من أبرز رجال المدرسة الصوفية الشيرازية . وقد أولى الدكتور ڤاديه اهتماما كبيرا لهذا الإسناد في مقدمة ترجمته الفرنسية ، وإن كان الدكتور صبيروي قد تعقب هذا الجانب من عمل ڤاديه بالنقد والمراجعة[١] . ونظرا لكثرة التفاصيل التي أوردها ، والتي تتضمنها مصادرنا أيضا ، فسنكتفي هنا بخلاصة تبين مدى الاهتمام بالكتاب وروايته في البيئة المذكورة .

والثاني : ما تتضمنته مؤلفات روزبهان البقلي الشيرازي (ت ٦٠٦ / ١٢٠٩) الثلاثة ، « عبهر العاشقين » و « شرح شطحيات » بالفارسية ، و « مشرب الأرواح » بالعربية ، من اقتباسات ونقول عن كتب الديلمي ، مما أشار إلى بعضه ڤاديه في مقدمة ترجمته . ويصرح روزبهان نفسه في « مشرب الأرواح » بأخذه عن الديلمي .

أ - فأما الإسناد ، فيرجح صحته وروده عدة مرات في ترجمة ابن عساكر لابن خفيف في « تاريخ مدينة دمشق »[٢] . فأول راو للكتاب يرد فيه هو أبو الحسن بن بكران بن الفضل ، الذي يرويه - فيما يبدو - عن مؤلفه مباشرة . ويمكن الاطمئنان إلى ما قرره ڤاديه من أنه هو الشخص الذي ذكره الهجويري باسم أبي الحسن علي بن بكران الشيرازي ، ووصفه بأنه من أكابر صوفية فارس[٣] ، وروى عنه بطريق السماع

(١) انظر ڤاديه : ترجمة ، المقدمة ، وصبيروي : ابن خفيف الشيرازي ٢٦ - ٢٧ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٥ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٣) انظر الهجويري : كشف المحجوب ١ / ٣٨٨ ، ٢ / ٤٨٨ ، وڤاديه : ترجمة ١٩ - ٢٠ . وقارن بابن عساكر ، الذي يذكر ابن بكران في مكانين في ترجمته لابن خفيف باسم « أبي الحسن علي بن بكران الصوفي » (تاريخ مدينة دمشق ١٥ / ٢٩٦ ، ٢٩٩) .

خبرا يتعلق بحياة الشيخ ابن خفيف . ولا نعرف شيئا عن تاريخ مولده أو وفاته ، ولكن يمكن أن نفترض ، بناء على معلوماتنا عن الهجويري نفسه ، أنه قد لقي أبا الحسن بن بكران في وقت ما خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، وهذا يتيح لابن بكران ، على كل حال ، أن يدرك الديلمي ويروي الكتاب عنه بطريق مباشر .

والرجل الثاني في هذا الإسناد ، الذي يروي الكتاب عن ابن بكران ، هو أبو شجاع محمد بن سعدان المقاريضي (ت ٥٠٩ / ١١١٥ - ١١١٦) ، الذي لا نعرف تاريخ ميلاده أيضا ، غير أننا نستطيع أن نفترض أنه ، مع تأخر تاريخ وفاته ، قد روى الكتاب عن شيخه ابن بكران في شبابه الباكر . وقد يعين على ذلك أنه في سلسلة أتباع الشيخ ابن خفيف يأتي في الجيل الثاني ، وبينه وبين ابن خفيف رجل واحد هو الشيخ أبو علي الحسين بن عبد الله المقاريضي[1] . ولأبي شجاع « مشيخة » كتلك التي كتبها الديلمي ذات ذكر في الحياة الصوفية بشيراز[2] . ويؤكد ما افترضناه من طول عمر أبي شجاع ومكانته بين صوفية شيراز ما قاله صاحب « فردوس المرشدية » : « كان الشيخ أبو شجاع ... عالما فاضلا كاملا ، وكان القطب نحو خمسين عاما »[3] .

فكلا الشيخين اللذين يضمهما إسناد « العطف » ، كما ذكرنا ، من كبار صوفية شيراز ، مما يوحي بحرص هذه البيئة الصوفية على تداول الكتاب وتدارسه ، والعناية بتوريثه للأجيال المتعاقبة طبقا لتقاليد الرواية والإسناد في العلوم الإسلامية . ويبدو أن هذه العناية قد استمرت بعد كتابة نسختنا المروية بالإسناد المذكور - أو الأصل الذي أخذ عنه ناسخها - كما سيتبين في الفقرة التالية .

ب - وأما المجال الثاني ، وهو تأثر روزبهان البقلي بالديلمي ، فتبدو مظاهره واضحة في تأثر روزبهان في كتبه الثلاثة المذكورة آنفا ، بمحتويات كتاب « العطف » على نحو بالغ الوضوح والعمق ، وبمحتويات كتاب « السيرة » للديلمي أيضا ، مع

---

(١) انظر شد الإزار ١٠١ .　　(٢) السابق ١٠١ ، ١٧٧ .

(٣) محمود بن عثمان : فردوس المرشدية (تحقيق Meier) ٣٢ .

التصريح بمصدر هذا التأثر في بعض المواضع القليلة .

فأما كتاب « مشرب الأرواح » ، وهو المشهور باسم « ألف مقام ومقام » ، فيورد فيه وصف الديلمي للعشق بأنه « غليان الحب » [١] ، ويصرح بنقله عنه ، ومن الواضح أنه ينقل ذلك عن الباب الرابع من كتاب « العطف » . على أن الكتاب يحتوي - في السياق نفسه - أقوالا أخرى مقتبسة من كتاب « العطف » دون تصريح بالنقل عنه ، منها أقوال أبي حفص الحداد ، وأبي القاسم الجنيد ، وهرقل ، وابن خفيف في العشق ، بنفس الصيغة الواردة في « العطف » تماما أو على نحو قريب جدا منها ، بما يقطع بنقله عنه [٢] . ويفعل روزبهان نفس الشيء عند بيان « حد الصبابة » ، الذي رواه الديلمي عن أبي سعيد ابن الأعرابي [٣] .

وأما في « شرح شطحيات » ، فيورد روزبهان نصا مطولا على مدى أربع صفحات عن رأي الحلاج في أصل العشق ، نعتقد - مع ماسينيون - أنه مأخوذ من كتاب « العطف » ، لوحدة السياق والمضمون واللغة ، مع ملاحظة فروق الترجمة ، كما أشرنا في تعليقاتنا [٤] . وفي مواضع أخرى من الكتاب ينقل روزبهان عن بعض كتب الديلمي ، ويصرح باسمه في موضعين يتعلقان بأخبار الشيخ ابن خفيف : أحدهما عن رأيه في الحلاج وفي بعض أشعاره ، والآخر عن صلته ببعض شيوخ البيضاء . ومن المؤكد أن روزبهان كان ينقل عن كتاب « السيرة » فيما يتعلق بالواقعة الأولى [٥] .

---

(١) روزبهان البقلي : مشرب الأرواح ١٣٥ ، وقارن ٤٧ ص .

(٢) مشرب الأرواح ١٣٥ ، وقارن ٢٥ - ٢٦ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٧١ ص .

(٣) مشرب الأرواح ١١٥ ، وقارن ٣٧ ص .

(٤) شرح شطحيات ٤٤١ - ٤٤٤ . وكان ماسينيون قد أشار إلى هذا النص ، وألحقه بكتابه : *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane* (ط ١٩٥٤ ، ٤٢٤ - ٤٢٦) ، الذي أصدره في باريس عام ١٩٢٢ . وانظر مقالته Interférences philosophiques ٢٣٢ هامش ٣ ، وقارن ٥٠ - ٥٦ ص . وعن الأصل العربي لكتاب شرح شطحيات ، انظر ٥١ ص ، هـ ٢ .

(٥) شرح شطحيات ٤٢ - ٤٣ ، ٤٣٢ - ٤٣٣ ، وقارن السيرة ١٦٥ - ١٦٦ .

وأما في « عبهر العاشقين » ، فإن روزبهان يعتمد اعتمادا واضحا على كتاب « العطف » ، وينسج على منواله ، في ذكر عناوين العديد من الفصول وترتيبها وكثير من محتوياتها . وقد لفت هذا التشابه الشديد نظر ڤاديه ، فضمن مقدمة ترجمته الفرنسية لكتاب « العطف » نصا من كتاب روزبهان ، مقارنا إياه بما يقابله من أوائل « العطف » عن جواز إطلاق العشق على الله ومن الله ، على نحو يبرز تأثره بالديلمي ومدى دينه له ، وإن كان روزبهان نفسه لا يصرح بذلك[١] . غير أنه في نقله لعبارات الديلمي ، يصف ابن خفيف بقوله « شيخنا وسيدنا أبو عبد الله محمد بن خفيف » ، بعد أن ذكر مشايخ كثيرين دون أية صفة ، وهذا أحرى أن يصدر عن الديلمي ، لا عن روزبهان ، وهو الموجود لفظا وسياقا - بخلاف قليل - في كتاب « العطف »[٢] .

والمواضع المتشابهة كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال ، لا الحصر ، الفصل السادس من « العبهر » في « كيفية جوهر العشق الإنساني وماهيته » ، الذي يتضمن المعاني وبعض الأشعار التي أوردها الديلمي في الفصل الثالث من الباب الرابع من كتاب « العطف » خاصا برتب المحبة ودرجاتها . وكذا في بداية الفصل السابع من « العبهر » يقترب روزبهان مما أورده الديلمي عن الحلاج في « العطف » عن العشق الذاتي[٣] . وأخيرا فإن قارئ كتاب « العطف » سيكتشف بنفسه طبيعة العلاقة بين الكتابين حين يجد في فهرس موضوعات « العبهر » : « الفصل الرابع : في فضيلة المحبين الذين يألفون الحسن والمستحسن ، والمحبوبين المستحسنين » ، و « الفصل الخامس : في الحُسن والحَسَن والمستحسن » ، الخ[٤] .

---

(١) انظر ڤاديه : ترجمة ١٣ - ١٤ ، وقارن ٩ - ١٠ ص ، وعبهر العاشقين ٩ - ١٠ .

(٢) عبهر العاشقين ١٠ ، وقارن ٩ ص .

(٣) عبهر العاشقين ٤٤ ، وقارن ٥١ ص وما بعدها .

(٤) عبهر العاشقين ١٢ - ١٣ ، وقارن العطف ، الباب الثالث .

نسبة الكتاب

أما عن نسبة كتاب « العطف » إلى الديلمي ، فبالرغم من أننا لا نجد التصريح بهذه النسبة في المصادر القديمة التي تيسرت لنا ، فهناك شواهد خارجية وأخرى داخلية على صحتها .

فأما الخارجية ، فاتفاق الباحثين المعاصرين ، من أمثال ريتر وماسينيون وڤاديه وشيمل ، على تلقي هذه النسبة بالتسليم والقبول ، وعدم تشكك أي منهم في صحتها . وأهم من ذلك شهادة روزبهان البقلي ، وتوازي نصوصه في كتابين من كتبه المذكورة آنفا مع محتويات كتاب « العطف » ، وتصريحه في أحد المواضع بالأخذ عن الديلمي - عند تعريفه العشق بأنه « غليان الحب » . وإن لم يصرح روزبهان باسم الكتاب المأخوذ منه ، لكن المقارنة تدل على أنه أخذ من كتاب « العطف » ، كما سلف بيانه [١] .

وأما الشواهد الداخلية فتتمثل في :

- ما ورد على صفحة العنوان من المخطوطة الوحيدة الباقية لكتاب « العطف » من تصريح بنسبة الكتاب إلى « أبي الحسن علي بن محمد الديلمي » برواية ابن بكران عنه ، ثم المقاريضي عن ابن بكران . وقد أوضحنا حال هذين الراويين فيما سبق وذكرنا شهادة ابن عساكر لصحة الإسناد الذي يتضمنهما ، بما يدعو إلى قبول ما يقرره المخطوط ، لاتساقه مع الأسانيد الموازية والحقائق التاريخية .

- التصريح داخل صفحات المخطوط - لا على صفحة العنوان فحسب - بقول مؤلفه ، أو راويه ، في بعض المواضع : « قال صاحب الكتاب » [٢] ، وفي مواضع أخرى مماثلة : « قال علي بن محمد » [٣] ، وهو اسم الديلمي .

---

(١) راجع ما مر عن روزبهان البقلي في ص ٢٧ - ٢٩ .

(٢) انظر مثلا : ٣١ ، ٣٩ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ص .

(٣) انظر ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٧١ ، ٢٢٠ ص .

- التشابه القوي بين ما حكاه الديلمي عن الشيخ ابن خفيف عن شيخه بمكة أبي الحسن المزين عند تلقينه الشهادتين لأبي يعقوب الأقطع ، في كل من كتاب « العطف » وكتاب « السيرة »[1] . وهذا الأخير يقطع الباحثون - فضلا عن مضمون الكتاب نفسه - بنسبته إلى أبي الحسن الديلمي ، تلميذ ابن خفيف[2] . هذا بالإضافة إلى وحدة أسلوب الكتابين ، وما يدل عليه أسلوب كتاب « العطف » ومضمونه من أنه تأليف تلميذ مباشر لابن خفيف يعرف تطور آرائه ، ويسجل وقائع من حياته الخاصة ، ويطلع على بعض مؤلفاته بخطه بعد موته ، ويتابعه في آرائه ومشربه . وكلها ملامح تتفق مع شخصية أبي الحسن الديلمي صاحب « السيرة » ، مما يؤكد صحة نسبة « العطف » إليه[3] .

وبهذه الشواهد مجتمعة ، داخلية وخارجية ، يمكن للمرء أن يطمئن علميا إلى صحة نسبة الكتاب إلى علي بن محمد الديلمي ، الذي تبينا ملامح شخصيته في الجزء الأول من هذه المقدمة .

مضمون الكتاب

يتناول الكتاب - كما ألمحنا من قبل - ظاهرة الحب الإلهي ، والحب بوجه عام ، بالدراسة والتحليل الدقيق المستوعب ، في مستوياتها المختلفة ، الإلهية والإنسانية والكونية ، ويعنى بالبحث عن حقيقتها وعلتها ، ومظاهرها وآثارها ، وآراء الباحثين فيها على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم الفكرية ، من أطباء وحكماء ، ولغويين وأدباء ، وصوفية وعرفاء ، ومتكلمين وفقهاء ، وغير هؤلاء وهؤلاء ، حتى مجاهيل الأعراب وعوام الناس . ولا يفوت المؤلف دوما أن يعقب برأيه الخاص ، وتجاربه

---

(١) انظر ٢٩٦ - ٢٩٧ ص ، وقارن السيرة ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) انظر السيرة ٨٧ ، ٨٩ ، ٢٥٨ ، حيث يصرح المترجم الفارسي لكتاب السيرة بنسبته إلى الديلمي .

(٣) قارن ٩ - ١٠ ، ٢٨٩ - ٢٩١ ، ٢٩٦ - ٢٩٩ ص .

الذاتية ، وملاحظاته الطريفة ، إلى جانب ما تلقاه من شيوخه ورواه عنهم مع تأويله وفهمه لهذه المرويات والآثار .

يبدأ الكتاب بالخطة التفصيلية للأبواب والفصول ، التي اتبعها المؤلف فعلا بتصرف قليل ، ثم يقدم - بعد تمهيد سريع في الاستدلال على جواز إطلاق العشق والمحبة على الله - تعالى - أي كونه موضوعا للمحبة والعشق وفاعلا لهما - بمقدمات عن فضل الحب والمحبوب والمحب ، ثم يُتبع هذه الأبواب بابا رابعا عن سر التسمية وأصل كلمتي الحب والعشق واشتقاقهما في اللغة العربية ، مزاوجا بين أقوال اللغويين من جانب ، وشيوخ الصوفية من جانب آخر .

ويدخل بعد ذلك في صميم الموضوع فيفرد بابا للكلام عن « أصل المحبة والعشق ومبدئهما » ، ثم يعرض لجوهر المحبة وحقيقتها ، ثم يدرس « أقاويل الناس في المحبة » ، ثم صفة العشق والمحبة وخاصة لدى الأدباء ، ثم يبين صفات المحبة المحمودة ، وخاصة لدى المفكرين والصوفية ، ثم يدرس أقوال « من ذم المحبة لعلة » ، لأنها لا تذم لذاتها أبدا ، ثم يبين « أفعال المحبة والعشق وشواهدهما » لدى مختلف الباحثين ، وبخاصة الصوفية ، ثم يفصل الكلام عن الآثار والشواهد ، فيفرد بابا لشواهد محبة الله ، ثم لشواهد محبة العبد ، ثم لشواهد المتحابين في الله ، ويلي ذلك باب في ذكر محبة الخواص من المؤمنين ، وآخر في ذكر محبة عامة المسلمين ، ثم في ذكر الحب لدى كل ذي روح ، ثم يعرض بعد ذلك لمعنى كلمة « شاهد » ، ولحد كمال المحبة ، ثم يذكر من مات عشقا ومن قتل نفسه عشقا ، ويختم الكتاب بدراسة بعض الأخبار في موت المحبين من الإلهيين ، من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والأولياء - رضوان الله عليهم أجمعين - وهو آخر أبواب الكتاب .

ويعجب القارئ لهذا الكتاب ، الذي مضى على تأليفه ألف عام ، لما يتسم به من تناسق في التركيب ، واستيعاب في التناول ، وموضوعية في الشرح والتحليل ، مع

غلبة الطابع الصوفي والنزعة الروحية بطبيعة الحال ، في طرافة محببة ، ومشاعر حميمة ، وملاحظات دقيقة ، لا تصدر إلا عن نفس مهذبة ، وعقل متفتح ، وتأمل طويل ، وذات تكاد تختلط بطبيعة الموضوع .

عنوان الكتاب

عنوان الكتاب يرجع إلى تراث المفكرين المسلمين الذين اهتموا بأسرار الحروف ورمزيتها ، كالحلاج والتستري وابن مسرة وغيرهم من المفكرين والصوفية [1] .

ويرمز العنوان إلى العلاقة بين الله وخلقه ، وهي علاقة المحبة والتعاطف والألفة . فالألف رمز للذات الإلهية مع كمالاتها (= الله) ، التي هي معدن الحب الحقيقي والجمال الخالص ، واللام هي رمز الوجود الإنساني أو الكون الجامع المخلوق (= آدم ، أو الإنسان) ، والعلاقة بينهما (ويرمز لها بالألف واللام أو اللام ألف : لا) هي علاقة الألفة والعطف والمحبة في أكمل صورها وأصفاها . والعنوان يشي بمذهب المؤلف الذي عبر عنه في مواضع عديدة من كتابه - وبخاصة في المقدمات بالباب الثالث ، وفي الباب العشرين الذي شرح فيه المعنى الاصطلاحي لكلمة « شاهد » [2] - وهو أن أصل الحب وسره وحقيقته ومبدأه هو من الله - عز وجل . و « العطف » منه - تعالى - هو إمالته زمام إرادة العبد إليه - سبحانه - فينشغل به عما سواه ، وإن كان يرى - في الوقت نفسه - مجالي الجمال في كل شيء ويمارس الحب بمستوياته وألوانه المحمودة [3] . فالحب دوما هو للحبيب الأول ، والحنين إنما هو لأول منزل ، حتى يعود

---

(١) ينظر أخبار الحلاج (ط ماسينيون وكراوس) ٩٦ ، ومحمد كمال جعفر : من التراث الصوفي لسهل ابن عبد الله التستري ١ / ٣٦٩ ، وله أيضا : من قضايا الفكر الإسلامي ٣٢٠ - ٣٢٤ .

(٢) انظر ٢٣٠ - ٢٣٤ ص ، وقارن رسالة كتاب الميثاق للجنيد ضمن « رسائل الجنيد » (تحقيق علي حسن عبد القادر) ٤٣ - ٤٤ .

(٣) انظر روزبهان البقلي : مشرب الأرواح ١٠٤ - ١٠٥ ، حيث يورد روزبهان فصلا في معنى العطف ويصف أصل العطف بأنه حفظ الله المريد « عن الوقوف على شيء دونه » .

الإنسان المحب بعد رحلة الاغتراب في عالم الأكوان إلى مرجعه ومثواه ، في جوار حبيبه ومولاه ، وهو ما اعتبره الديلمي خاتمة المطاف ، وجعله آخر أبواب الكتاب .

ونحن نتفق مع ماسينيون في ترجيحه أن هذا العنوان مقتبس من تراث الحلاج [1] بوجه خاص ، وعلى نحو أكثر تحديدا ، من المقطوعة الشعرية الحلاجية التي رواها الديلمي نفسه في الباب السادس من « العطف » ، والتي تشرح طبيعة العشق الأزلية ، وحقيقة العلاقة بين العبد ومولاه في رأي الحلاج ، والدلالة الرمزية للألف واللام على هذه العلاقة الخاصة بينهما في حالي الجمع والفرق ، والمحو والصحو ، على حد سواء ؛ إذ يقول :

لما بدا البدءُ أبدى عشقَهُ صفةً	فيمن بدا ، فتلالا فيه لألاءُ
واللام بالألفِ المعْطوفِ مُؤتلِفٌ	كِلاهما واحدٌ في السبقِ مَعْناءُ
وفي التفرق إثنانِ ، إذا اجتمعا	في الافتراقِ ، هما عبدٌ ومولاءُ [2]

وبرغم التفاوت اللفظي بين ما في عنوان كتابنا وما في هذه الأبيات ، إذ الألف هنا معطوفة وفي العنوان مألوفة ، واللام هنا مؤتلفة وفي العنوان معطوفة ، برغم ذلك ، فالمعنى في النهاية واحد ، والتشابه أوضح من أن يؤكد ، وإن كنا لا نستبعد في الوقت نفسه أن يكون الديلمي قد راعى - في هذه التسمية - عنوان كتاب للحلاج ، ينسبه إليه صاحب الفهرست ، هو « خزائن الخيرات ، المعروف بالألف المقطوع والألف المألوف » [3] ، ولا نستبعد أيضا أن يكون الديلمي قد اطلع على هذا الكتاب الحلاجي المفقود الآن . على أن الحلاج يكثر من استخدام المعنى الرمزي للألف واللام في التعبير عن علاقة العارف بمولاه في مواضع أخرى من الأقوال والأخبار المنسوبة

(١) انظر ماسينيون Interférences philosophiques ٢٢٩ .

(٢) ٩٠ ص .

(٣) انظر ابن النديم : فهرست (ط فلوجل) ١٩٢ ، وقارن ماسينيون : *Passion* (ط ١٩٢٢) ٢ / ٨١٩ .

إليه [١] ، التي كانت متاحة للديلمي - مع اهتمامه الخاص بالحلاج - على نحو أوضح مما هي بين أيدينا الآن .

ولعل فيما أوردناه هنا ، عن مغزى التسمية ومصدرها ، ما يغني عن الإطالة في موضوع الحروف ورمزيتها وأسرارها ، الذي يشير كلام الديلمي نفسه إلى عناية صوفية عصره به [٢] ، والذي استفاض واستبحر بعد ذلك ، وكانت له آثاره السلبية والإيجابية [٣] .

مصادر الكتاب

سبق أن ذكرنا في حديثنا عن حياة المؤلف بعض مصادر فكره بوجه عام ، ومن تأثر بهم من الشيوخ والعلماء من خلال شيخه ابن خفيف أو من طرق أخرى ، ونذكر الآن بعض المصادر المهمة التي يظهر أثرها في كتاب « العطف » بوجه خاص ، بادئين بالمصادر الصوفية لأهميتها ، ثم نعرض بعد ذلك للمصادر غير الصوفية .

ابن خفيف لعل أهم هذه المصادر - كما هو متوقع - شيخه أبو عبد الله بن خفيف ، سواء بما ورثه عنه ، فيما نرجح ، من اهتمام بدراسة موضوع المحبة والعشق ، كما مر آنفا ، أو بما اقتبسه الديلمي من رسائل شيخه المفقودة الآن في هذا الموضوع ، أو بما أورده في « العطف » من أقواله وآرائه المنثورة .

وقد سبق أن ذكرنا ثلاثة أعمال لابن خفيف في المحبة ، ما تزال كلها مفقودة . ومن النصوص القليلة التي أوردها المترجمون لابن خفيف ومن تعرضوا لآرائه فيما بعد أقوال ومرويات تتعلق بالمحبة والعشق ، ربما يكون البعض منها من بقايا هذه الأعمال .

ومن أهم هذه الشذرات والمرويات ما تورده شيمل في ملاحق كتاب « سيرت »

---

(١) انظر أخبار الحلاج مع الطواسين (مكتبة الجندي) ٤٥ ، ٦٦ - ٦٧ .

(٢) انظر ٧٥ - ٧٦ ص .

(٣) انظر مثلا ابن العربي : فتوحات ١/ ٢٦٠ وما بعدها ، وروزبهان البقلي : شرح شطحيات ٦٠ - ٦١ .

عن سؤال جرى في مجلس ابن سريج ، شيخ ابن خفيف في الفقه ، وأجاب عنه ابن خفيف الذي يقول : « سَأَلَنَا يوما القاضي أبو العباس بن سريج - وكنا نحضر مجلسه لدرس الفقه - فقال : محبة الله فرض أو غير فرض ؟ قلنا : فرض ، قال : ما الدلالة على ذلك ؟ فقرأت قوله - تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم ... أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا ... ﴾[١] ، فتواعدهم[٢] الله - تعالى - على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله ، والوعد لا يقع إلا على الفرض »[٣] .

ويأخذ الديلمي هذا المعنى عن شيخه لإثبات وجوب المحبة في موضعين من كتاب « العطف » ، دون أن يصرح بنسبته إلى شيخه[٤] . وهذا الخبر يظهر أين يقف الديلمي وشيخه من الخلاف الذي بدأته « الجهمية » في أمر المحبة لله ومن الله فأنكروهما ، وتابعهم في ذلك المعتزلة ومتأخرو الأشاعرة ، مخالفين في ذلك جمهور علماء المسلمين[٥] .

والقارئ لكتاب « العطف » يجد الكثير من الآراء والأقوال المنسوبة لابن خفيف متعلقة بنظرية المحبة مما قد لا يجد له نظيرا في مصدر آخر . ولعل من أكثرها أهمية ما يورده الديلمي في أوائل الكتاب عن جواز « إطلاق العشق على الله ومن الله » ، من أن شيخه كان ينكر ذلك زمنا حتى قرأ مسألة لأبي القاسم الجنيد في العشق « ذكر فيها معنى العشق واشتقاقه وماهيته ، فقال به ورجع عن إنكاره ، وجوزه وصنف فيه مسألة »[٦] . ونحسب أن هذه « المسألة » كانت ضمن مصادر الديلمي ، الذي يأخذ

---

(١) التوبة : ٢٤ .

(٢) كذا ، ولعلها : فوعدهم أو فتوعدهم .

(٣) سيرت (شيمل) ٢٥٨ ، وقارن السيرة (شتا) ٣٠٧ .

(٤) ٩٧ ، ١٩٧ ص .

(٥) انظر بل : *Love Theory* ٥٦ - ٥٩ ، ١٠٩ - ١١٠ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٦) ٩ - ١٠ ص . قارن ص ١٩ هـ ٣ فيما سبق .

برأي شيخه في جواز إطلاق العشق على الله ومن الله ، وفي بيان ماهية العشق واشتقاقه[1] ، وفي اختيار مواد كتاب « العطف » بوجه عام ، كما قد يفهم من الشواهد التالية :

- يورد الديلمي في الباب الرابع « في معنى اسم المحبة واشتقاقها ومعانيها » ، وفي الفصل المتعلق بأقوال شيوخ الصوفية في ذلك ، رأي شيخه ابن خفيف في اشتقاق لفظ المحبة : « وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن خفيف : يحتمل أنه مأخوذ من قوله - [تعالى] : ﴿ يُحِبُّهُمْ ﴾ ، فأفاض على الأسرار من حبه ، فاحتواها ، وألبسها لبسة من محبوبها ، فساغ في وصفها ، فسُمّي ذلك حبا ، باسم الحق ووصفه »[2] .

- ثم يذكر الديلمى شيخه في الباب الخامس « في أصل المحبة والعشق ومبدئهما » مرتين .

أولاهما : ما يحكيه عن ابن خفيف عن أهل دمشق « أنهم قالوا : إن أصل العشق الحب ، ثم الرؤية ، ثم العشق » ، ويتبعه بخبر عن إرميا النبي - عليه السلام - وخطاب الله - تعالى - إياه[3] .

والأخرى - وهي أهم من سابقتها : ما يحكيه عن ابن خفيف في بيان أصل المحبة : « من [محبة] الحق لعباده تتولد تأثيرات لابسة لقلوبهم ، وغشاوة تظهر على أسرارهم ، فيكونون بذلك موصوفين ، وإن لم يكونوا لها كاسبين »[4] . وربما كان أصل المحبة هذا متصلا بفكرة « الشاهد » التي يشرحها الديلمي في الباب العشرين من كتاب « العطف » .

---

(١) ٣٦ ص .
(٢) السابق .
(٣) ٧١ ص .
(٤) ٧٣ ص .

وفي كتاب « العطف » مواطن أخرى يذكر فيها الديلمي آراء شيخه وأقواله ، سواء صرح بذلك أم لم يصرح ، منها ما يذكره عن شيخه في بيان نفس المحبة[١] ، وبشأن بعض الأخبار عمن ماتوا عشقا ، كخبر شعوانة الأبلية ، إذ يقول الديلمي : « ووجدت في كتاب للشيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف - رحمة الله عليه - وبخطه ، قال : ... الخ »[٢] ، وكخبر أبي يعقوب الأقطع[٣] ، وخبر الشاب المباركي[٤] ، ومواضع أخرى ، أشرنا إلى بعضها فيما سبق . وخبر الأبلية يؤكد اعتماد المؤلف أثناء كتابته على بعض أعمال شيخه التي عثر عليها بعد موته ، كما يؤكد أن بعضها - على الأقل أحدها - من خطه .

الحلاج وربما جاز لنا أن نذكر المصدر الحلاجي تاليا للشيخ ابن خفيف ضمن مصادر الديلمي في « العطف » ، سواء كان ذلك من طريق شيخه أو من طريق آخر ، فقارئ « العطف » يجد أثر الحلاج واضحا ، وآراءه مبثوثة في مواطن عدة ، نشير إليها هنا بالإيجاز :

- يذكر الديلمي الحلاج في كتابه لأول مرة ضمن شيوخ الصوفية المشاركين له في الرأي بشأن جواز استخدام العشق في معنى المحبة بين العبد وربه[٥] .

- ثم ينقل عنه نصا مطولا بشأن أصل العشق ، باعتباره أثرا للوجد الإلهي الذاتي في الأزل ، والخطاب العلوي بين الذات والصفات ، وهي نظرية « العشق الذاتي » عند الحلاج ومن وافقه . ومن الخطاب بين الذات والصفات - كما يصفه الحلاج في هذا النص - يكون التجلي في عالمي الملك والملكوت ، مضمخا بآثار العشق الذاتي القديم ، فيظهر عندئذ الفرق بين الملك والمالك والمملوك ، ويعرف الفعل والفاعل والمفعول . وذلك في الباب الخامس من العطف ، « في أصل المحبة والعشق »[٦] .

---

(١) ٩٢ ص .
(٢) ٢٨٩ - ٢٩٠ ص .
(٣) ٢٩٦ - ٢٩٧ ص .
(٤) ٢٩٧ - ٢٩٩ ص .
(٥) ٩ ص .
(٦) ٥٠ - ٥٦ ص .

ويبدو الديلمي في الفصل السادس منه متأثرا بفكر الحلاج على نحو ما أيضا ، إذ يقول : « فأبرز الحق - تعالى - من الأزل لجميع أسمائه المشتركة تأثيرات هي كانت الحدث ، الذي هو إلى جنب الأزل ... . فالمحبة التي كانت أول بارز برز من الصفات كانت معنى نورانيا ظهر من الأزل إلى الحدث ، فانقسم ثلاثة : محبا ومحبوبا ومحبة ، وهي كانت في الأصل واحدا »[1] . ولعل النفَس الحلاجي واضح في ذلك .

- ثم يورد الديلمي بعد ذلك قولا للحلاج بشأن « ماهية العشق » والنور الأزلية ، وعن الطبيعة الخاصة للعشق ، ويُتبع هذا القول شعرا للحلاج - وهي الأبيات التي رجحنا فيما سبق أن الديلمي قد استوحى منها عنوان كتابه « العطف »[2] . ثم ينقل بيتين للحلاج عن مفهوم « المحو » الصوفي ضمن قصة وقعت له في الأهواز[3] ، ثم قولا عن « شواهد المحبة » وما يترتب عليها من فناء صفات المحبين[4] . وأخيرا يورد الديلمي بضعة أبيات للحلاج تصور فكرة « الاتحاد » الحلاجية ، ويعقب عليها بقوله : « هذا من الاتحاد »[5] .

ولعله من المناسب هنا أن نورد رأي الديلمي في مثل هذه الفكرة ، إذ يقول في الفصل السابع من الباب السابع من « العطف » : « وفرقة زعمت أن [المحبة أن]لا تفارق محبوبك ولا يفارقك ، ولا يكون بينك وبينه خلاء ، ويقولون : نحن الله ، والله نحن - تعالى الله وجل »[6] . فآخر هذا القول يوحي برفضه لفكرة الاتحاد[7] .

---

(١) ٧٤ - ٧٥ ص .
(٢) ٩٠ - ٩١ ص .
(٣) ١٤١ - ١٤٢ ص .
(٤) ١٧٩ ص .
(٥) ٢٣٩ ص .
(٦) ١٠٨ ص ، وقارن أيضا ٩١ ، ٩٣ ص .
(٧) هذا ، وإن كان من المحتمل أن هذا القول ، مع بقية الباب السابع أو أكثره ، مقتبس من كلام ابن الأعرابي . انظر ص ٤١ فيما يلي .

مصادر صوفية أخرى هذا ، وللديلمي في كتاب « العطف » - بالإضافة إلى أقوال وكتابات كل من شيخه ابن خفيف والحلاج - مصادر صوفية أخرى عديدة . ومن أهمها عمرو بن عثمان المكي ، وأبو القاسم الجنيد ، وأبو سعيد ابن الأعرابي ، ولكل منهم - كما ذكرنا آنفا - مؤلف مفقود في المحبة أو العشق .

أ - فأما عمرو بن عثمان المكي ، فيضمن الديلمي كتابه آراء له ونصوصا مطولة أحيانا في مواضع ثمانية ، بعضها مجرد تكرار لما أورده في موضع سابق ، نشير إلى أهمها فيما يلي .

أول من يذكره الديلمي ويقتبس من أقواله في الفصل الخاص بأقوال شيوخ الصوفية في اشتقاق لفظ المحبة هو المكي[١] . ثم يورد ثلاثة أقوال له في الفصل الخاص بآراء الصوفية في أصل العشق والمحبة ، تتضمن كون المحبين أعلاما لمحبته - تعالى - وسر فرحهم بذكره وكيف تصير المحبة عشقا ، وأن أصلها يرجع إلى النظر إليهم بعين المحبة يوم استخراج الذر من ظهر آدم[٢] . وينقل عنه في الفصل الخاص بأقوال الصوفية في نفس المحبة جوابا لمن سأله عن المحبة بأنها : « ما دخل في القلوب من لطيف المعنى الذي تعلقت به بحق المحبوب على شرط ما تعلقت به من عالٍ ودانٍ ومكين وضعيف »[٣] . وبداية هذا القول تكرار لبداية القول الثاني الذي أورده في الفصل السابق ذكره في « أصل » المحبة[٤] .

ثم يذكر له قولين في « دلائل المحبة » ، حيث يصفها بأنها الشوق والحنين إلى اللقاء ، والتحرق والألم لامتناعه[٥] . وفي حد كمال المحبة ، ينقل عنه نصا في المحو والفناء والاصطلام ، « بلا وفاة الموتى ولا بقاء الأحياء »[٦] .

---

(١) ٣٥ ص .　　(٢) ٦٩ ، ٦٩ - ٧١ ، ٧١ - ٧٣ ص .

(٣) ٨٧ ص .　　(٤) قارن ٦٩ ص .

(٥) ١٧٨ - ١٧٩ ص . والقول الثاني تكرار لبعض ما ذكره في ٦٩ ص .

(٦) ٢٤٠ - ٢٤١ ص .

وآخر المقتبسات وأطولها عن المكي ما يورده الديلمي في خواتيم كتابه - في باب « موت الإلهيين » من العشق والمحبة - وهما قصتان : إحدهما قصة حكاها عمرو عن الزقاق عن أحد أصحابه الذي حضر موت أحد الصوفية ودفنه ، وكيف ظهر له في المنام بعد موته ، في موكبه إلى الجنة ، وكيف لقيه في قصره بالجنة ، فأوصى بإكرامه . والأخرى قصة حكاها عمرو عن أبي سعيد الخراز عن بعض متعبدي بغداد ، بشأن ميت نزل ليدفنه في قبره ، فلما انحلت عقدة الكفن ، خاطبه الميت : « أما إني سأنفعك » ، فغشي عليه ، وأخرج محمولا [١] .

ب - وأما الجنيد بن محمد ، فلعله في اهتمامه بالمحبة واستخدامه مصطلح « العشق » كان متأثرا بشيخيه الحارث المحاسبي ، الذي ترك مقالة في المحبة رواها أبو نعيم في الحلية [٢] ، وأبي يزيد البسطامي ، المعروف بالفناء والقول بالعشق الإلهي . وكثير مما في « العطف » من أقوال الجنيد يتصل بمسألة العشق ، ولعله مأخوذ من « مسألته » التي أشار إليها الديلمي في أوائل كتابه وإلى تأثيرها على شيخه ابن خفيف [٣] .

فالموضع التالي الذي يقتبس فيه الديلمي من الجنيد هو المتعلق باشتقاق كلمة « العشق » ، حيث يجمع الجنيد بين أقوال اللغويين في العشق ، وآراء شيوخ الصوفية في تطور حالتي المحبة والعشق [٤] .

ثم يذكر رأيه في صيرورة المحبة عشقا ، جوابا لمن سأله عن أصل العشق ، بأن أصله المحبة وتزداد حتى تصير عشقا . وفي هذا الموضع نفسه يورد الديلمي قصيدة طويلة للجنيد بالغة الأهمية ، لا تخلو من غموض في كثير من أبياتها ، في « معنى مبدأ العشق والمحبة ومنتهاهما » ، وفناء المحب عن جميع الصفات ، وسائر النسب والإضافات [٥] .

(١) ٢٩١ - ٢٩٦ ص .
(٢) انظر الحلية ١٠ / ٧٦ وما بعدها .
(٣) ٩ - ١٠ ص .
(٤) ٣٥ ص .
(٥) ٦٥ - ٦٧ ص .

وفي الباب السادس في « نفس المحبة وماهيتها » يورد جواب الجنيد لمن سأله عن نفس المحبة والعشق بما يؤكد رأيه السابق في صيرورة المحبة عشقا ؛ فالعشق عنده « غليان المحبة عند بلوغها الغاية »(١) .

ثم يروي عن الجنيد قصة تتعلق بأحد مريديه الذي غاب عن الحلقة حياء من شيخه لانشغاله بذي وجه جميل ، فزاره الجنيد ولم ينكر حاله ، وقال إنها محبة لا نقمة . وفي ختام القصة يورد الديلمي بيتين للجنيد في المحبة . وبعد أن يلم بأقوال شيوخ آخرين ، يذكر مقالة الجنيد : « فقدنا ثلاثة أشياء لا نكاد نجدها حتى الممات : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء »(٢) .

وفي باب « شواهد المحبة » يورد الديلمي أبياتا ثلاثة رائعة الجمال تلقاها الجنيد مكتوبة في رقعة من شيخه وخاله السري السقطي(٣) . وهو آخر المواضع التي ترد فيها أقوال الجنيد .

جـ - وأما أبو سعيد المشهور بابن الأعرابي - وهو أقرب هؤلاء الشيوخ الثلاثة زمنا من الديلمي - فقد نقل الديلمي عنه في مواضع ثلاثة ، يحفظ لنا في أحدها أهم ملامح كتابه المفقود « اختلاف الناس في المحبة » .

وفي أول هذه المواضع ، في باب « معنى اسم المحبة واشتقاقها » ، يورد الديلمي نصا هاما عن درجات المحبة ومراتبها ومقاماتها ، والاسم الذي تعرف به عند كل درجة . ثم ينقل عن أبي سعيد شرحه لمعاني هذه الأسماء بلغة صوفية بالغة الدقة والعمق ، تكشف لنا - فضلا عن قيمتها الروحية الذاتية - مرحلة من مراحل تطور المصطلح الصوفي(٤) .

---

(١) ٨٧ ص .

(٢) ١٣٩ - ١٤١ ص .

(٣) ١٧٨ ص ، وقارن رسائل الجنيد ٤٣ - ٤٤ .

(٤) ٣٦ - ٣٨ ص .

والنص الثاني ، وهو أكثر نفاسة وأهمية من سابقه ، على أهميته ونفاسته أيضا ، يرد في الباب السابع من كتاب « العطف » ، الذي أعطاه الديلمي عنوان كتاب ابن الأعرابي : « اختلاف الناس في المحبة » . ويبدأ بقول الديلمي : « قال أبو سعيد أحمد بن [محمد بن] زياد الأعرابي في كتاب « اختلاف الناس في المحبة » أقاويل بلا ذكر قائليها ، فقال : اختلفوا في المحبة ، فكانوا في الأصل سبعة أصناف » . ثم يذكر الأصناف السبعة التي يحتوي كل منها على بضع فرق ، يبلغ مجموعها أربعا وأربعين فرقة تمثل مختلف اتجاهات الفكر الإسلامي حينذاك في باب المحبة ، بما في ذلك آراء المحافظين من أهل السنة وآراء الفرق الأخرى من معتدلي الشيعة وغلاتهم . ويغلب على ظننا أن الباب السابع من « العطف » كله اختصار أو اقتباس لما احتواه كتاب ابن الأعرابي ، ولا يبعد أن يكون الديلمي قد ضمنه بعض التفاصيل من مصادر أخرى . ويستغرق هذا الباب ما يربو على عشر صفحات من مخطوطة كتاب « العطف » ، فهو يمثل - إن صح حدسنا - أطول نص مقتبس في الكتاب ، ويقدم إلينا قطعة هامة جدا ، لا نجدها في مصدر آخر ، من عمل ابن الأعرابي المفقود - إن لم يكن كله [١] .

وفي منتصف كتاب « العطف » تقريبا يورد الديلمي نصا آخر لابن الأعرابي ، يشرح فيه قول رابعة حين سئلت : « كيف حبك للرسول ؟ » فأجابت : « إني أحبه ، إلا أن حب الخالق شغلني عن حب المخلوق » . وهو شرح ينم عن الفهم لحقائق التصوف من ناحية ، ولذوق رابعة فيه من ناحية أخرى [٢] .

هذا ، ولا يخفى على قارئ كتاب « العطف » أن هناك مصادر صوفية أخرى قد استعان بها مؤلفه ، إلا أنها أقل أهمية مما سبق . ومما أخذ من هذه المصادر ما نقله عن

---

(١) ٩٨ - ١٠٩ ص .

(٢) انظر ١٥٢ ص . وهناك موضع آخر في العطف يرد فيه قول منسوب لشخص كنيته أبو سعيد ، لكن لا نقطع بأنه ابن الأعرابي ، وذلك في ٧٠ ص .

أبي سليمان الداراني (ت ٢١٥ / ٨٣٠ - ٨٣١) عن طريق تلميذه أحمد بن أبي الحواري (ت ٢٣٠ / ٨٤٤ - ٨٤٥) ، وعن ذي النون المصري (ت ٢٤٦ / ٨٦١) ، ويتضمن أشعارا تنسب إليه ، وعن المحدث الكوفي الزاهد سفيان الثوري (ت ٩٥ / ٧١٣) ، وعن سمنون المحب المعاصر للجنيد ، وكثير غير هؤلاء .

ولا نستطيع أن نغفل في هذا المجال التعرض للنص الذي رواه الديلمي عن سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ / ٨٩٦) متعلقا بنظرية « النور المحمدي » الشائعة لدى الصوفية ، وهو نص مطول هام جدا [١] . ويأتي ذكر التستري مرتين بعد ذلك في كتاب « العطف » [٢] ، هذا بالرغم مما عرف عن شيخ الديلمي ابن خفيف من مقاومة لمذهب « السالمية » ، الذين تتلمذ شيخهم على التستري [٣] .

مصادر غير صوفية من الطبيعي أن يستعين الديلمي في تأليف كتابه بمصادر غير صوفية ، ونشير إلى بعض أهمها فيما يلي ، وهم الطبري ، والمسعودي - أو مصدر مشترك يروي عنه المسعودي والديلمي - والعالم الشيرازي أبو العباس أحمد بن منصور .

أ - من أكثر مصادر الديلمي أهمية محمد بن جرير الطبري ، صاحب التاريخ والتفسير ، الذي ينقل مؤلفنا عنه عدة أخبار تاريخية بشيء من التصرف ، ويصرح بنقله عنه في الموضع الذي يروي عنه فيه خبر الخضر - عليه السلام [٤] . وقد ساعدتنا المقارنة بين نص « العطف » وكتابي الطبري المشار إليهما على تحرير النص في عدة مواضع من الباب الأخير ، كما قد يلاحظ القارئ من تعليقاتنا عليه . وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر القارئ بأن الديلمي يذكر ابن جرير في « السيرة » ضمن شيوخ ابن خفيف الذين سمع منهم الحديث في بغداد [٥] .

---

(١) ٦٧ - ٦٨ ص .　　(٢) ٨٧ ، ٢٩١ ص .

(٣) انظر السيرة ٢٥٧ ، حيث يذكر الديلمي كتابا لابن خفيف بعنوان « كتاب الرد على ابن سالم » .

(٤) ٢٧٢ ص ، وقارن هوامشنا على المواضع الأخرى .

(٥) السيرة ٢٥٣ .

ب - وممن رجع إليهم الديلمي من المؤرخين أيضا - فيما يبدو - المسعودي ، صاحب « مروج الذهب » ، وصاحب « أخبار الزمان » ، وهو الكتاب الذي تناول فيه موضوع « العشق » بالتفصيل ، كما ينص المسعودي في « المروج » [١] . ومن أهم النصوص التي يبدو أن الديلمي قد نقلها عن المسعودي ما أورده في الفصل الرابع من الباب الخامس ، « في قول المتكلمين في أصل العشق والمحبة وما تولد[ا] منه » . وقد وردت هذه الأقاويل في « المروج » في سياق مجلس عقده الوزير البرمكي يحيى بن خالد (ت ١٩٠ / ٨٠٥) ودعا إليه نخبة من متكلمي عصره [٢] . ويغلب على ظننا أن أقوال المتكلمين في المحبة كانت تحت يد الديلمي اعتمادا على رواية مفقودة لكتاب « المروج » ، أو « أخبار الزمان » ، أو مصدر مشترك لهذين الكتابين وكتاب « العطف » ، ثم قام بتوزيعها على مواضع عديدة من كتابه عند بيان رأي المتكلمين [٣] .

جـ - ويرجع الديلمي أيضا إلى أبي العباس أحمد بن منصور ، أحد علماء شيراز البارزين في عدة فنون ، ووالد أبي عبد الله البيطار الذي سلف ذكره في حياة المؤلف [٤] ، وصاحب « مشيخة » ينقل عنها الديلمي خبرا عن ثابت البناني ، وآخر يتعلق بالعمامي ، أحد صوفية الرقة [٥] .

وهناك مصادر أخرى عديدة في مجالات متنوعة ، لا يعينها المؤلف على وجه التحديد ، لكنه يذكرها على وجه الإجمال ، كأهل اللغة ، والأدباء ، والأعراب ، والفلاسفة الأوائل ، والأطباء ، والمنجمين ، والمتكلمين ، مما هو مبثوث في فصول

---

(١) المسعودي : مروج ٦ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٢) ٦٢ - ٦٤ ص ، لاحظ هوامشنا عليها ، وما مر في ص ٢١ من هذه المقدمة . وقارن المروج ٦ / ٣٦٨ - ٣٨٦ .

(٣) انظر ص ١٩ هامش ٥ فيما سبق .

(٤) راجع ما سبق في ص ١٣ - ١٤ .

(٥) ٢٨٧ ، ٢٩٩ ص .

الكتاب كله . وقد يكون من قبيل ذلك أيضا ما نقله في بعض المواضع عن « أحد الفلاسفة »[1] ، وما نقله عن كتاب للعالم الفلكي أبي معشر ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، بل نقلا عن بعض أهل العلم[2] .

والكتاب يكشف عن ثقافة متنوعة رحبة الأبعاد ، وليس من اليسير في هذه المقدمة أن نحصي مصادره ومراجعه ، فنكتفي بما تيسر من ذلك . وقد يسوغ لنا - بالنسبة لما زخر به من أشعار في الحب ، الإنساني منه والإلهي - أن نتوقع أن المؤلف كان يعتمد على كتب من طراز « الزهرة » لابن داود و « اعتلال القلوب » للخرائطي ، ومجموعات الشعر المتداولة حينذاك ، وأنه كان يرجع أيضا إلى مصادر أخرى صوفية ، قد لا تكون موجودة الآن ، نظرا لما يحويه الكتاب من أشعار للجنيد والحلاج وغيرهما من أعلام الطريق ، ومقطوعات أخرى لا توجد في دواوين أصحابها المتداولة الآن . والله أعلم .

* * *

(١) ٥٦ ص ، وقد رجحنا أن المقصود به أبو حيان التوحيدي ، كما اقترح ماسينيون . راجع ما مر في ص ١٣ ، ٢١ - ٢٢ من هذه المقدمة .

(٢) ٥٦ ص .

طريقة التحقيق

أسباب إعادة التحقيق

اتجهت همتنا أول الأمر إلى ترجمة هذا الكتاب من العربية إلى الإنجليزية ، لتتيسر الإفادة منه للناطقين بهذه اللغة ، ثم وجدنا أنه من الضروري ، بعد مراحل العمل الأولى في الترجمة ، التي اعتمدنا فيها على نشرة الأستاذ ڤاديه ، وبعد اكتشافنا للصعوبات التي تكتنفها ، أن نقوم بإعادة تحقيق النص العربي من جديد ، اعتمادا على المخطوطة العربية الوحيدة ، المحفوظة في مكتبة توبنجن (رقم Ma VI 82) ، لكي نقدم للباحثين وللمثقفين نص الكتاب ، وترجمته الإنجليزية ، بطريقة تمثل قراءتنا نحن للأصل ، وفهمنا له ، ومعالجتنا إياه .

ونجد من الحق علينا أن نشكر الأستاذ ڤاديه ، الذي كان له فضل إخراج الكتاب إلى الناس لأول مرة في أوائل الستينيات ، وإن كانت نشرته تلك قد جاءت مشوبة ببعض العيوب والأخطاء فيما يتعلق بالنص نفسه ، كما أنها خلت من التعريف بالكتاب ومؤلفه ، ومن الفهارس المعتادة . وقد كان النص بحاجة إلى بعض التعليقات والإيضاحات التي لم يقم بها محققه ، وإن كان قد قام ببعض هذه الأمور في ترجمته الفرنسية له .

ولهذا كله قمنا بإعداد هذه النشرة التي راعينا فيها - بتوفيق الله - التعريف بالمؤلف وكتابه أولا ، ثم تحرير النص طبقا للأصل وللنصوص الموازية له ، مستعينين بالأبحاث المتعلقة به ، في اللغات العربية والفارسية من ناحية ، والإنجليزية والفرنسية والألمانية من ناحية أخرى . كما عنينا بالتعليق عليه ، للتعريف بالكثير مما ورد فيه من أعلام ، وخاصةً ما يعين على تقويم نص الكتاب ، ولتخريج النصوص الواردة فيه سواء كانت قرآنية أو نبوية أو شعرية أو غيرها . ثم ألحقنا به فهارس تفصيلية على النحو المعهود .

وحاولنا - بوجه عام - أن نقوم النص بقدر الاستطاعة ، وأن نضيء جوانبه بالتعليقات ، التي بذلنا فيها جهدا كبيرا استغرق أمدا طويلا . ونأمل أن يجد المطلعون على هذه النشرة الجديدة بأنفسهم مبررات إعادة التحقيق ، ويستقبلوها بشيء من الثقة والاطمئنان ، بإذن الله .

وصف الأصل

اعتمدنا - كما سلفت الإشارة - على نسخة مكتبة توبنجن الخطية وحدها ، حيث لم نستطع العثور على سواها . وسنعتمد في وصفها هنا على صورتها الفوتوجرافية التي تفضلت إدارة المكتبة بإرسالها إلينا ، وهي تقع في ثلاثمائة صفحة عدا صفحتي العنوان والخاتمة ، وفي كل صفحة ١٣ سطرا . ويحيط بالصفحات الأولى منها ، من صفحة البسملة إلى صفحة ١٧ ، إطار مستطيل (٩ × ١٢,٦ سم تقريبا) أهمله الناسخ بعد ذلك فيما بقي من الكتاب .

وقد روجعت هذه النسخة بعد كتابتها ، حيث دوّن الناسخ ، بالخط نفسه ، ما سقط من النص أثناء النسخ على الهامش الأيمن أو الأيسر مع الإشارة إلى ذلك في موضع السقط . وهذا السقط يكون أحيانا كلمة أو بعض كلمة [١] ، وأحيانا عبارة أو جملة [٢] ، وأحيانا أخرى سطرا كاملا [٣] . وقد تتعدد مواضع هذا السقط المضاف على الهامش ، فيصل أحيانا في الصفحة الواحدة إلى أربعة مواضع [٤] ، مما يدل على عناية طيبة بالمراجعة ، وإن كان هناك بعض مواضع من السقط لم تتدارك عند المراجعة ، نبهنا نحن إليها على طريقتين : الأولى بزيادتها في صلب المتن داخل معقوقتين ، علامة الزيادة ، لحاجة السياق إليها أو لمثلها [٥] ، والأخرى بالإشارة إليها

---

(١) انظر مثلا ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٩ من المخطوطة الأصلية .

(٢) انظر مثلا ١١ ، ٢٤ ، ٨٥ ، ٩٤ من المخطوطة الأصلية .

(٣) كما في ٦٣ ، ١٨٩ من المخطوطة الأصلية .

(٤) كما في ٩٠ ، ١١٤ من المخطوطة الأصلية .

(٥) كما في ١٧١ ، ٢٢٧ ص مثلا .

في تعليقاتنا بالهامش ، إن لم تكن ضرورية [١] .

وعلى صفحة العنوان من المصورة يوجد بخط الناسخ نفسه : « كتاب عطف الألف والمألوف [كذا] على اللام المعطوف ، تأليف الشيخ الإ[مام] والعارف أبي الحسن علي بن محمد الديلمي - رحمه الله - تعالى - برواية الشيخ أبي الحسن بن بكران بن الفضل ، رواه عنه أبي [كذا] شجاع محمد بن سعدان المقاريضي [٢] - رضي الله - تعالى - عنه وأرضاه » . وحول هذا إطار في شكل مثلث مقلوب ، ينتهي عند رأسه في أسفل الصفحة بحلية زخرفية ، لعله من عمل الناسخ أيضا . ويوجد فوق الإطار كلمات قليلة ، وإلى جانبه ختم عربي يبدو أنه لأحد من تملكوا الكتاب ، وفي أقصى الشمال من أسفل الصفحة يوجد « تملك » آخر يبدو أنه أقدم من تملك صاحب الختم ، ضرب عليه بالقلم لإخفائه . وتصعب قراءة محتوياتهما في صورتنا الفوتوجرافية للمخطوط . وبين التملكين بالحروف اللاتينية ختم مكتبة توبنجن ، وتحت المثلث المقلوب رقم 82 [٣] .

وأما صفحة الخاتمة في آخر الكتاب ، فتحتوي على سطرين كاملين وبضع كلمات أخرى مدونة بشكل رأسي متناقص ، علامة الختام . وهي تتضمن جزءا من الدعاء الذي ختم به الديلمي كتابه على النحو التالي : « ... الدائم عند لقاء ربنا ، والعفو العام عند حسابنا ، إنه ولينا [كذا] والقادر عليه ، وصلى الله سيدنا [كذا] محمد وآله ، أصحابه [كذا] الطيبين الطهرين [كذا] أجمعين إلى يوم الدين ، وسلم » .

ويوجد بعد ذلك سطر واحد ، ضرب عليه بالقلم بحيث تتعسر قراءته . وبرغم الصعوبة البالغة يمكننا أن نتوقع - على تردد شديد - أنه يتضمن شيئا يتعلق بالناسخ .

---

(١) كما في ٣٧ ص مثلا .

(٢) انظر ما كتبناه فيما سبق عن سند الكتاب ونسبته .

(٣) انظر صور صفحات المخطوط في آخر المقدمة .

وقد أحيطت أكثر الكتابات التي وردت في هذه الصفحة الأخيرة بإطار في شكل مثلثين متداخلين يحيطان بالكلمات الختامية المرتبة رأسيا بما يقرب من شكل المثلث المقلوب ، كالعادة في خواتيم الكتب ، ومنها السطر الذي ضرب عليه .

وطراز الخط الذي استخدمه الناسخ هو قلم نسخ معتاد . وكان يحرص في الصفحات الأولى على تشكيل أكثر الكلمات ، وإن كان التشكيل ، وبعض الشواهد الأخرى ، تدل على أن الناسخ لا يتقن قواعد اللغة العربية [١] ، كما أن النقط بالنسبة للحروف المعجمة جاء مضطربا في أحيان كثيرة ، كما تدل عليه تعليقاتنا وخاصة في الأجزاء الأولى من النص . وكان الناسخ يبرز عناوين الأبواب والفصول وبدايات الأشعار وبعض الأقوال بتكبير الأحرف واستخدام حبر مغاير [٢] . وقد يلجأ أحيانا إلى استخدام أشكال زخرفية في هذه المواضع ، وفي غيرها أحيانا ، وغالبا ما يقصد بهذه الزخارف استكمال الأسطر الناقصة في المواضع الهامة وحول العناوين [٣] .

خطوات التحقيق

١ - بدأنا بنسخ المخطوطة طبقا لقواعد الإملاء الحديثة ، مراعين في ذلك تقسيمها إلى فقرات بحسب مقتضيات المعنى وطبيعة الأسلوب ، مستخدمين علامات الترقيم المستقرة في العربية المعاصرة ، مصلحين اختلال النقط والتشكيل المشار إليه آنفا ، مع الإشارة إلى بدايات صفحات المخطوط بخط مائل في الصلب وذكر رقم الصفحة على الهامش بحذاء هذا الخط . ويؤسفنا عدم وضع علامات التشكيل فوق الألف المهموزة في بعض الأماكن المهمة ، كما يؤسفنا عدم وضع علامة المدة في مثل كلمتَي « الله » و « الرحمن » ، وذلك بسبب تعسر الأول وتعذر الثاني مع البنط المستخدم في الطباعة .

---

(١) انظر مثلا الصفحات المصورة من الأصل في آخر المقدمة ، وصفحة العنوان من النص المحقق .

(٢) انظر مثلا ٧ ، ٨ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ١٨٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ من المخطوطة الأصلية .

(٣) كما في ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ من المخطوطة الأصلية .

وعنينا بمراجعة هذا النسخ عدة مرات للاطمئنان إلى سلامته ، ووضعنا تصحيحات السقط التي أثبتها الناسخ بخطه على الهامش وحدد مواضعها من الصفحات - كما ذكرنا فيما سبق - في صلب المتن . وقلما أضفنا إلى المتن ما ليس في الأصل (الذي رمزنا له بالحرف « ص ») ، فإن فعلنا ، جعلناه بين معقوفتين ، علامة الزيادة ، وذلك حين تقتضيه الضرورة . وقد لاحظنا أن أخطاء الناسخ التي صحح منها الكثير ترجع إلى أمور منها الضعف اللغوي للناسخ كما ذكرنا ، وإلى أنه - فيما نرجح - كان يعتمد أثناء النسخ على أصل مكتوب بين يديه ينقل عنه ، إذ هناك أخطاء نظرية ترجع إلى تشابه الكلمات وتداخل الأسطر مع العجلة في النقل[١] . وفي بعض المواضع يبدو أن الناسخ لم يستطع أن يقرأ الأصل الذي عنده ، أو أنه اعتمد علي من يقرأ له وأخطأ في تسجيل ما سمع[٢] .

٢ - ومن الطبيعي أن تصادفنا في المرحلة الثانية مشكلات القراءة ، وقد استعنا - كما ذكرنا في تعليقاتنا بالهامش - بما أثبته الأستاذ ڤاديه في نشرته لهذا الكتاب (التي رمزنا لها بالرمز « ف ») ، وقد حرصنا أن نشير بالهوامش إلى ما أفدنا فيه من قراءاته ، إن كانت ذات مغزى . أما ما اتفقنا فيه معه من الكلمات العادية فكثير ، بطبيعة الحال ، ولا يستحق التنبيه عليه . وحين خالفناه ، لتغييره ما في الأصل أو لاجتهاد في القراءة لا نقره عليه ، أشرنا إلى ذلك بالهامش أحيانا ، وخاصة في الأجزاء الأولى من النص .

واستعنا أيضا بالاجتهادات التي قام بها الأستاذ ريتر في قراءة مواضع من الأصل ، وألحقها الأستاذ ڤاديه بنشرته المذكورة ، وأشرنا بالهوامش إلى ما كانت فيه معونة حقيقية لنا ، وقد نشير أحيانا إلى ما نخالف فيه كلا من ڤاديه وريتر ،

---

(١) كالذي نبهنا عليه من السقط في ٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٩ ، ٢٥١ ص .

(٢) قارن ١٤٤ ، ٢٥٨ ص .

كما يلاحظ القارئ .

كما استفدنا أيضا في هذا الصدد بتحقيق الأستاذين بيسترفلت و جوتاس (المشار إليهما في الهوامش بالرمز « بج ») للحوار الذي يقال إنه دار بين أرسطو وتلاميذه [١] ، وحكى الديلمي أجزاء منه في ثلاثة مواضع من الكتاب .

وكان لما قام به الأستاذان روزنتال وڤالزر من ترجمة لبعض صفحات الأصل إلى الإنجليزية [٢] ، وما قام به الأستاذ ماسينيون من عمل مماثل في الفرنسية [٣] ، وما قام به الأستاذ ڤاديه من ترجمة النص كله إلى الفرنسية ، كان لهذا كله بعض الفائدة لنا ، سواء في مرحلة القراءة وتحرير النص ، أو في مرحلة التعليق عليه والإيضاح له .

وقد أفدنا في تحرير النص والتعليق عليه بمصادر صوفية وتاريخية وأدبية ودينية تضم نصوصا موازية لما في الأصل ، أعانت على حسن قراءته كما يلاحظ القارئ في مواطن عديدة . ومن هذه المصادر : « مروج الذهب » للمسعودي ، و « روضة المحبين » لابن القيم ، و « الواضح المبين » لمغلطاي ، و « مصارع العشاق » للسراج ، و « ذم الهوى » لابن الجوزي ، و « منازل الأحباب » للحلبي ، و « منية المحبين » لمرعي بن يوسف الحنبلي ، و « تزيين الأسواق » لداود الأنطاكي ، و « حلية الأولياء » لأبي نعيم ، و « الرسالة » للقشيري ، و « كشف المحجوب » للهجويري ، و « التاريخ » و « جامع البيان » للطبري ، وكثير غيرها . ولعل هذا ينقلنا للمرحلة التالية .

---

(١) في مقالتهما The Malady of Love ، ويقابل النص الذي حققاه ٥٩ - ٦٠ ، ١٥٦ - ١٦٠ ، ٢٤١ - ٢٤٢ ص . انظر فهرس المراجع .

(٢) الأول في مقالته On the Knowledge of Plato's Philosophy in the Islamic World ، وهي ترجمة ٨١ - ٨٢ ص ، والثاني في مقالته Aristotle , Galen , and Palladius on Love ، وهي ترجمة ٥٩ - ٦٠ ص . انظر فهرس المراجع .

(٣) في مقالته Interférences philosophiques ، وهي ترجمة ٤٨ - ٥٥ ، ٧٤ - ٧٨ ، ٩٠ - ٩١ ، ١٤١ - ١٤٢ ، ١٧٩ ، ٢٣٩ ص . انظر فهرس المراجع .

٣ - وعنينا في المرحلة الثالثة بالتعليق على النص لإيضاحه وتنوير جوانبه ، والتعريف بالكثير من أعلامه ، وتخريج نصوصه ، وربط أجزائه بعضها ببعض ، وبما قد يعين قارئه أثناء المطالعة بوجه عام .

وفي هذا الصدد ، عنينا بالنصوص القرآنية أولا ، ومراجعتها على « مصحف الملك » المطبوع بالقاهرة ، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية فيها بالهامش . كما بذلنا عناية خاصة بتخريج الأحاديث القدسية والنبوية ، مستعينين بدواوين السنة ومصادرها المتعددة التي تيسرت لنا ، وإن فاتنا - على ما بذلنا من جهد - تخريج القليل منها . ونظرا لطول فترة العمل في التحقيق ، فقد ظهر كتاب « موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف » لأبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (بيروت ١٤١٠ / ١٩٨٩) بعد أن كدنا نفرغ من عملنا ، فاستعنا به في بعض النصوص (ورمزنا له بالحرفين « مط ») ، وخاصة تلك النصوص التي لم نكن قد عثرنا عليها في مراجعنا السابقة .

وحاولنا أن نقارن النصوص الشعرية الكثيرة الواردة في الأصل بمظانها من الدواوين ، والمجموعات الشعرية ، وكتب الأدب المتعددة ، للتوثيق والإيضاح وخدمة للقارئ المعني بذلك ، وإن تعذر علينا القيام بذلك في القليل منها . وقمنا بجهد مماثل بالنسبة للنصوص التاريخية ، وبخاصة تلك التي تتصل بقصص الأنبياء السابقين وأممهم ، فقارناها بما في المصادر الإسلامية وغيرها - وبخاصة العهدين القديم والجديد - على النحو الذي يلمسه القارئ المتخصص . كما حاولنا أن نعرف بأكثر الأعلام الواردين في الكتاب - في سبيل تقويم النص وخدمة للقارئ .

ونظرا لأن النص الصوفي يلم بجوانب فلسفية - فضلا عن طابعه الديني - فقد عنينا ، خدمة القارئ المتخصص ، بمقارنته بالعديد من النصوص المماثلة والمشابهة في مختلف المجالات الفكرية والروحية - كما ألمحنا فيما سبق - مستفيدين في ذلك بما نشر من نصوص ودراسات في العربية والفارسية من اللغات الشرقية ، وفي الإنجليزية

والفرنسية والألمانية من اللغات الغربية . وربما كان الجهد المشترك لباحثين ، أحدهما عربي مصري ، والآخر مستشرق أمريكي ، نموذجا للتعاون البناء بين رجال البحث العلمي في الشرق والغرب .

هذا ، وقد اضطررنا أحيانا ، لأسباب عملية ، أن نلجأ أثناء التحقيق أو إعداد المقدمة إلى استخدام أكثر من نشرة للمرجع الواحد . فما كثر استخدامه حاولنا أن نثبت بياناته أولا في قائمة المراجع ، ثم أوردنا ما قل استخدامه ، مع الإشارة في الهوامش إلى النشرة عند الضرورة . ونظرا لقيامنا بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية ، قبل دفع هذا العمل إلى المطبعة ، فقد أحلنا إلى تلك الترجمة في بعض المواضع ، كما يلاحظ القارئ .

٤ - وقد حرصنا في المرحلة الأخيرة أن نمهد للنص بمقدمة عن المؤلف وأعماله ، وبخاصة كتاب « العطف » ، على النحو الذي سبق ، نظرا لعدم شهرته لدى القارئ العربي ، ولخلو النشرة السابقة عن مثل هذا التمهيد ، الذي نأمل أن يفيد القارئ في مطالعة النص نفسه ، واستيعابه ، والاستمتاع به .

كما ألحقنا بالنص فهارس تفصيلية على النحو المعهود في التحقيق ، راعينا فيها - عدا فهرس الموضوعات بطبيعة الحال - أن نذكر أرقام صفحات الأصل المثبتة على هوامش نشرتنا هذه ، نظرا لثباتها ، ولتيسير المقارنة بين نشرتنا هذه والترجمة الإنجليزية التي قمنا بها على من يرغب في ذلك من القراء .

ولا يفوتنا أن نشكر من أعانونا على إخراج هذا النص الهام من العلماء والباحثين الذين لا نستطيع أن نحصيهم أو نوفيهم حقهم من الشكر . وفي مقدمتهم : الفقيد عبد الفتاح الحلو ، ومحسن مهدي ، والسعيد بدوي ، وجان كلود ڤاديه ، وجون هنويك ، وجـ . فان إس ، وإميل كومرر ، وأنجيليكا هارتمان ، وفؤاد سزكين ، وحامد طاهر ، وعلي عشري زايد ، وأحمد محمود إبراهيم ، وحسن شرف الدين ، وفلوريان صبيروي ، وريجيس مورلون ، والفقيد جورج شحاته قنواتي .

كما نتوجه بالشكر إلى مكتبة معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان بالقاهرة ، ومكتبة مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بأرض اللواء بالمهندسين ، والعاملين فيهما ، لما قدموا لنا من خدمات مقدورة أثناء إعداد هذا العمل ، وإلى مركز البحوث الأمريكي بالقاهرة ، وجامعة ولاية نيو يورك ، وجامعة برجن بالنرويج ، لإسهامهم في تيسير إتمام هذا العمل ، بدعم رحلات الزميل الأمريكي المشارك فيه إلى القاهرة أثناء فترة النهوض به ، وإلى مجلس البحوث القومي بالنرويج لإسهامه في نشر هذا العمل المزدوج وخروجه إلى الناس ، وإلى الأستاذ حسن الزين لقيامه بالنشر على النحو المعروف عنه من الدقة والإتقان .

ونأمل أن يكون هذا النص - بإذن الله - فاتحة خير لسلسلة من النصوص في الحب الإلهي ، نشرف بتقديمها للباحثين والمثقفين في الشرق والغرب . ومن حسن الطالع أن تكون الفاتحة أقدم نص عربي من نوعه في أيدي الناس اليوم ، فلقد سبق الديلميَّ رجال - ممن ذكرنا وممن لم نذكر - بالتأليف في « ظاهرة الحب » ، ووصلت إلينا أعمالهم ، لكنهم عنوا - كما أشرنا سلفا - بالجوانب الوجدانية الأدبية ، دون إلمام يذكر بالجوانب الميتافيزيقية والروحية والكونية . وهذه الجوانب الأخيرة هي التي أفاض فيها الديلمي على نحو لم يسبق إليه فيما وصلنا من نصوص الصدر الأول ، وإن كان قد تبعه كثيرون من الصوفية والفقهاء ، وخاصة من رجال المذهبين الظاهري والحنبلي ، الذين أفاضوا وأمتعوا ، وبرعوا وأبدعوا ، في تناول هذه الظاهرة - كما بينت ذلك الدراسات الحديثة [١] - على غير ما قد يتوقعه بعض المثقفين المعاصرين من هؤلاء المفكرين المحافظين .

---

(١) انظر مثلا بالإنجليزية دراسة Lois Anita Giffen في كتابها *Theory of Profane Love among the Arabs* ، وبالعربية ابن حزم : طوق الحمامة ، بتحقيق الطاهر أحمد مكي ، ومصطفى عبد الواحد : دراسة الحب في الأدب العربي ، ودين محمد محمد ميرا صاحب : الحب الإلهي في التصوف بين الإسلام والنصرانية ، رسالة محفوظة بمكتبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة .

« إن فكرة المحبة بين الله والعباد ليست بالفكرة الغريبة عن الإسلام ، بل إن الكثير من الآيات القرآنية تحدثنا عن محبة الله لعباده ومحبة عباده له . مثال ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم ﴾ [1] . وقوله - سبحانه : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا ، وأن الله شديد العذاب ﴾ [2] . ونعتقد أنه من هذه الآيات وغيرها ، نبع مفهوم الحب الإلهي لدى صوفية الإسلام » [3] . هكذا يتحدث الشيخ عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر الأسبق ، معبرا عن حقيقة موقف الإسلام من هذه القضية ، ومبينا النبع الذي استمد منه شيوخ الصوفية رؤيتهم للحب الإلهي . ونضيف نحن أن هذه الرؤية ليست مقصورة على شيوخ الصوفية ، بل هي مشتركة بينهم وبين سائر علماء المسلمين - باستثناء بعض المتكلمين - حتى المحافظين منهم كما سبق . وإبراز هذا الموقف الإسلامي هو أحد أهدافنا من نشر هذا الكتاب .

إنه كتاب نعتقد أنه ، مع ما يمثله من تراث عريق في الفكر الصوفي والثقافة الإسلامية بوجه عام ، يلبي إحدى حاجات الإنسان من حيث هو إنسان ، وخاصة في عصرنا الذي كادت تعصف فيه المادة وإيحاءاتها بحقيقة الحب ، بل بحقيقة الإنسان نفسه .

هذا ، وقد قال صاحب الكتاب : « قد نشرت في هذا الكتاب نكاتا وإشارات كثيرة - كرهنا تعدادها - لم نشرحها ولم نبن عنها ، وتركناها لمن بعدنا رياضة

---

(١) المائدة : ٥٤ . (٢) البقرة : ١٦٥ .

(٣) عبد الحليم محمود : أستاذ السائرين ، دار الشعب ١٩٨٦ ، ٢٠١ .

لعقولهم وامتحانا لمعرفتهم ، فليطلبها طالب الحق بجهده ، فإنه يظفر بها على قدر حظه من المعرفة . وذكرنا فيه ألفاظا يحتاج فيها إلى شرح العبارة ، فأهملناها لمعنيين : أحدهما خوف التطويل ، والثاني رجاء منا أن يتولى شرحها من بعدنا من أعطي منها شيئاً إن أعطي . ونسأل الله التوفيق في جميع أمورنا »[1] . ونحن لا ندعي أننا من هؤلاء الذين كان يتوقع المؤلف أن سيأتوا من بعده ، ويضموا جهدهم إلى جهده ، بفهم إشاراته وشرح ألفاظه ، ولكنا بذلنا في ذلك جهدنا ، ولعلنا قد مهدنا سبيل القارئ الفطن ليظفر هو - على قدر جهده الخاص - بأسرار الخطاب ، والمضامين الحقيقية لهذا الكتاب .

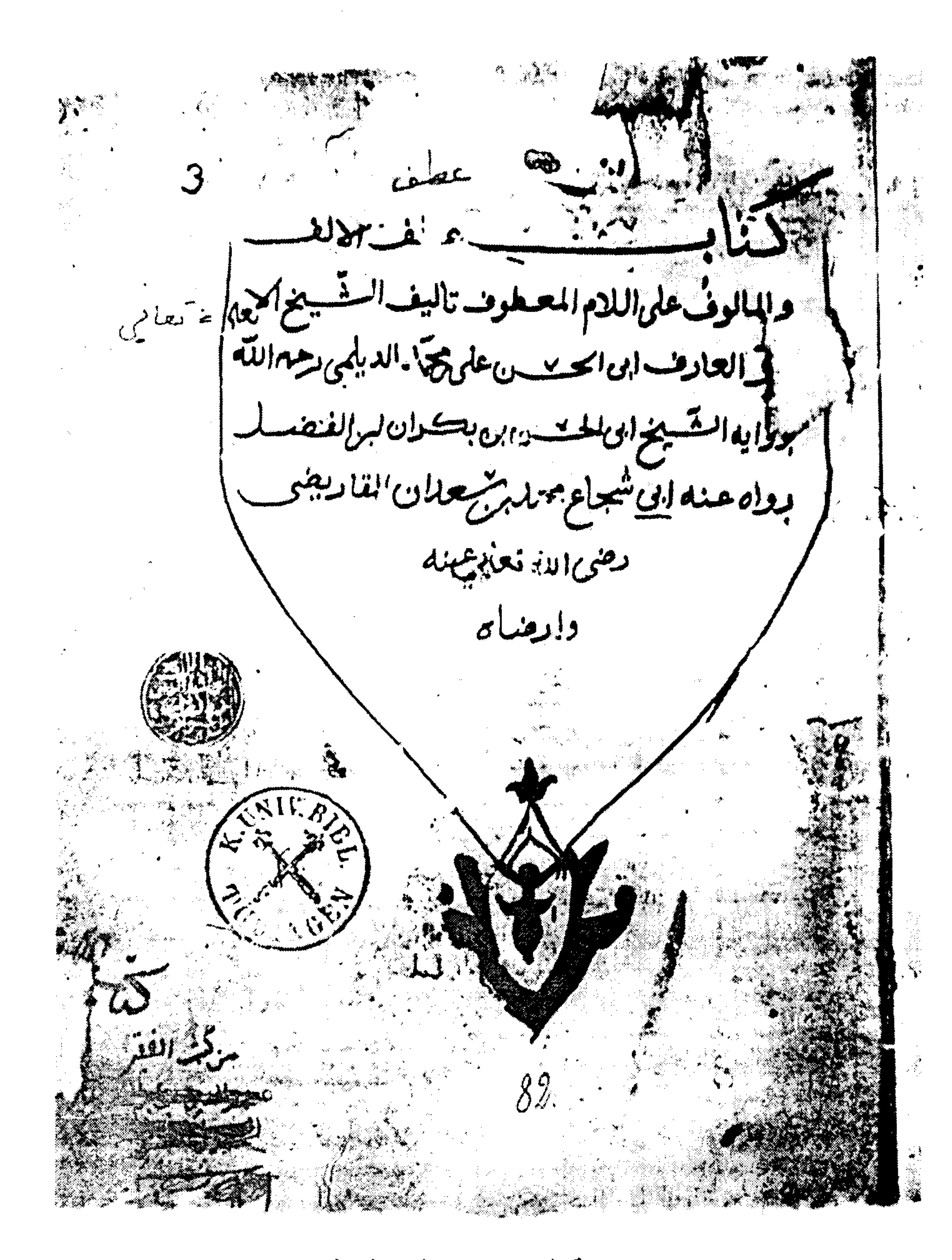
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

المحققان

---

(١) ص ٣١ .





3

عطف

كتاب ... ف الالف

والمالوف على اللام المعطوف تاليف الشيخ الامام

العارف ابي الحسن علي محمد الديلمي رحمه الله

برواية الشيخ ابي الحسن ابن بكران ابن الفضل

رواه عنه ابي شجاع محمد بن سعدان المقاريضي

رضي الله تعالى عنه

وارضاه

82

صفحة العنوان من المخطوط

١

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

الحمد لله ذي العز والكبرياء والنور والبهاء والنعم والآلاء
الذي أشرق الظلماء بلألاء أنواره وألبس الأسرار ضياء جلاله
القلوب بشعشعة جماله فعند ذلك وعند ذاك ظهر تلألؤ العز الشامخ
وبهاء الجلال الباذخ وضياء الحسن الباهر وسنا الجمال الزاهر
فهيج محبيه به سكارى هائمين ولهين طربين والهين مدلهين
فانبسطوا به إليه وأثنوا به عليه وتقربوا به إليه فعند ذلك
جعلهم لنفسه شاهدا ولعباده هداة ولبلاده غياثا
لما أظهر عليهم من سنا جلاله وبهاء جماله وآثار قدرته وأنوار
محبته فدهشت عقول الخليقة عند رؤيتهم وحارت عيونهم
عند طلوع شواهدهم وذهبت النعايم عند حلاوة شمائلهم
فسبحان ربنا الجليل الظاهر الباطن الأزلي الأبدي ظهر حتى
أغنى عن الدليل وخفي حتى لم يوجد إليه سبيل نسألك اللهم

الصفحة اللأولى من المخطوط

من القصر واشار الى القوم اي اسكتوا وحبابة
ينكر عليهم فقال يا ابا جعفر ما تريد فقال بالله عليك
ان تامر الجارية بان تعيد ذاك فعاد المجلس مسرورا
واخذت الجارية تردد هذا البيت فصرخ ابو جعفر
ورمى بنفسه فلم يزل يضطرب حتى مات فعمدت
الجارية الى ثيابها فنزعت وضربت بعودها على الارض
فكسرته وقالت يا مولاي قد تبت الى الله ان اعود
الى معصية فقال مولاها انا احق بها منك والشكر
من شر الكفار فتابا جميعا وما زالا يعبدان الله حق
ماتا على ذلك قال صاحب الكتاب علي بن محمد رحمه الله
وامثال هذه الحكايات ان جمعناها تكثر وفيما ذكرنا
كفاية ولعلوا بغرضنا منه ونسئل الله التوفيق في
جميع امورنا وخاتمة الخير عند منقلبنا والسرور

301 | ١٦٠

الدايم عند لقاء ربنا والعفو العام عند حسابنا انه ولينا والقادر عليه وصلى الله سيدنا محمد واله

اصحابه الطيبين

الطهرين

اجمعين

الى يوم

الدين

وسلم

82

صفحة الخاتمة (٣٠١) من المخطوط